

جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

إضافات الماوردي في تفسيره (النكت والعيون)

من سورة (فُصِّلَتْ) إلى سورة (النَّجْم)

إعداد

سمية عبد الرحمن أمير

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير 2021/1442

© 2020 .سمية عبد الرحمن أمير . جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة سمية عبد الرحمن أمير بتاريخ 12/11/2020،

وؤوُفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب

معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءاً من امتحان الطالب.

أ.د محمد خازر المجالي

المشرف على الرسالة

أ.د عبد السلام مقبل المجيدي

مناقش

أ.د عدنان الحموي العُلبّي

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم الأنصاري، عميد كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَص

سمية عبد الرحمن أمير، الماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يناير 2021.

العنوان: إضافات الماوردي في تفسيره (النكت والعيون) من سورة (فصلت) إلى سورة (النجم).

المشرف على الرسالة: أ.د محمد خازر المجالي

تُعنى هذه الرسالة بدراسة إضافات الماوردي في تفسيره (النكت والعيون)، على الأقوال التي نقلها عن سبقه، والتي عبّر عنها بصيغة (ويحتمل)، وقد تكونت الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. تم تناول ترجمة الماوردي في التمهيد باختصار، و خصصت الفصول الثلاثة لدراسة الإضافات، والتي بلغ عددها ستاً وستين إضافة، في ثلاث عشرة سورة من سور القرآن الكريم، من سورة فصلت إلى سورة النجم، خمس وخمسون منها بلفظ (ويحتمل)، وإحدى عشرة بلفظ: (وهو محتمل)، حيث تمت دراسة هذه الإضافات وتقييمها، ومقارنتها مع أقوال المفسرين السابقين واللاحقين، ثم الترجيح بين جميع الأقوال الواردة في الآية، وأخيراً الخاتمة التي تضمنت عدداً من النتائج والتوصيات.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج، من أبرزها: أن إضافات الماوردي في تفسيره كانت من باب اختلاف التنوع لا التضاد، ومعظم إضافات الماوردي لاقت قبولاً واسعاً عند المفسرين، فإما أن يكون القول قد سبق ذكره عند أحد القدماء، وإما أن يتبنى بعض المتأخرين قوله ولو بوجه محتمل، ومنها أنه اعتمد في إضافاته على عدة أصول، مثل: المعنى اللغوي للألفاظ، وضرب الأمثلة للألفاظ العامة، والتفسير باللازم، والتفسير الإشاري، وذكر عبارات جديدة بألفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة.

الكلمات المفتاحية: (إضافات، الماوردي، التفسير، محتمل، معتبر).

ABSATRCT

Al-Mawrdi's Additions in his tafsir *Al-nukat Wa Al-'uyun*, from Surah
Fussilat to Surah An-Najm

This paper studies the additional interpretations of Imam Al-Mawrdi in his tafsir *Al-nukat Wa Al-'uyun*, in which he interpreted *The Holy Quran* through citing from predecessors in tafsir, as well as adding his own interpretations of which he referred to using the word “yahtamal”: possible.

The study consists of: an introduction, preface, three chapters, and a conclusion. The preface focuses on the biography of Imam Al-Mawrdi, while the three chapters focus on studying Imam Al-Mawrdi's additional interpretations. Al-Mawrdi's additional interpretations include 66 additions in the tafsir of 13 Surahs, starting from *Surah Fussilat* and ending with *Surah An-Najm*, 55 of these which he referred to with the word “yahtamel”: possible, and 11 of which he referred to with the word “wa ho yahtamel”: it is possible. The additions were studied and compared to interpretations of predecessors and successors in tafsir, and then between all interpretations of the verse, an interpretation was nominated using rules and fundamentals of tafsir. Finally, the conclusion included results and recommendations.

The main conclusion this thesis arrived to is that: Imam Al-Mawrdi's additional interpretations did not oppose those of predecessors, but on the contrary, added diversity and variety to them. Moreover, most of Imam Al-Mawrdi's interpretations were widely accepted between tafsir scholars; some of his interpretations were already mentioned by predecessors, or were agreed upon between successors. The paper also concluded that Imam Al-Mawrdi's additions followed a set of principles, for example: the linguistic meaning of words, giving examples for general terminologies, and explaining verses using different words that have similar meanings.

Keywords: additional, interpretations, AlMawrdi, Tafsir, possible, considered

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،،

فالشكر والحمد لله رب العالمين أولاً على أن أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث، فلولا توفيقه

ومعونته ولطفه بي لما تيسر لي الوصول إلى هذه المرحلة.

ثم أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لوالدي الذي زرع اللبنة الأولى فيّ لهذا العلم وهو حفظ كتاب الله عز وجل، ولوالدتي التي أحاطتني بدعائها وحرصها واهتمامها، فأسأل الله تعالى أن يحفظهما لي وأن يمُدَّ في أعمارهما على طاعته، ويديم عليهما الصحة والعافية.

كما أتقدم بخالص الشكر لعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: د. إبراهيم عبد الله الأنصاري، والعميد المساعد للبحث والدراسات العليا: أ.د. محمد خازر المجالي، والذي كان في نفس الوقت مشرفي على الرسالة، فكان نِعْمَ المشرف، وتابعتني أولاً بأول، وقَدَّم لي التوجيهات السديدة، والنصائح القيمة، والارشادات اللازمة، فجزاه الله عني خير الجزاء، ونفع به الإسلام والمسلمين.

وكذلك أخص بالشكر أ.د. عبد السلام المجيدي، و أ.د. عدنان الحموي العُلبّي، لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، فجزاهم الله خير الجزاء، ووفقهم لما يحب ويرضى.

والشكر موصول لمنسق برنامج ماجستير التفسير: أ.د. أحمد خالد شكري، والذي يُعَدُّ في نفس الوقت منسقاً لمشروع (إضافات الماوردي في تفسيره)، و أ.د. محمد عبد اللطيف، صاحب فكرة هذا المشروع.

ولا أنسى بالشكر جميع أساتذتي وشيوخي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فلكل واحد منهم فضلٌ عليّ بعد الله تعالى لوصولي إلى هذه المرحلة.

وأخيراً أشكر كل من قدم لي العون والمساعدة، ودعا لي بالخير والتوفيق، وأخص منهم صديقتي التي ساعدتني في ترجمة ملخص الرسالة: (فاطمة علي الهاجري)، فاللهم بارك فيهم، وجزاهم عني خير الجزاء.

الإهداء

إلى كلّ من علّمني وجادَ عليّ بفضله..

إلى كلّ من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث..

إلى كلّ محبّ للقرآن الكريم..

إلى كلّ مسلمٍ متمسكٍ بعقيدته ودينه وأخلاقه..

فهرس المحتويات

ب.....	لجنة المناقشة
ج.....	المُلخَص
د.....	Absatrcet
ه.....	شكر وتقدير
و.....	الإهداء
٩.....	التمهيد: ترجمة الإمام الماوردي رحمه الله
٩.....	اسمه ونسبه ولقبه:
٩.....	ميلاده:
٩.....	شيوخه:
١٠.....	تلاميذه:
١٠.....	مؤلفاته ومصنفاته:
١١.....	عقيدته:
١٣.....	وفاته:

الفصل الأول: إضافات الماوردي في سور: فصلت والشورى والزخرف والدخان

١٤.....	والجاثية
١٤.....	المبحث الأول: سورة فصلت

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثِمَةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ

١٤.....	بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿ [فصلت:٥].
---------	---

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَيْضَنَا لَهُمْ قُرْنَا فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقِّ

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿ [فصلت: ٢٥] ١٧

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ [فصلت: ٣٠] ٢٠

المطلب الرابع: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿ [فصلت: ٣١] ٢٣

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿ [فصلت: ٣٤] ٢٥

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظِّ

عَظِيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٥] ٢٧

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [فصلت: ٣٩] ٢٩

المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ ﴿ [فصلت: ٤٢] ٣١

المطلب التاسع: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

الْأَعْجَمِيَّةُ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ

يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿ [فصلت: ٤٤] ٣٦

المبحث الثاني: سورة الشورى ٣٨

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ [الشورى: ١٣] ٣٨

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَيِّقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿

[الشورى: ١٤] ٤٠

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ [الشورى: ٣٨] ٤٢

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

[الشورى: ٥٢] ٤٤

المبحث الثالث: سورة الزخرف ٤٥

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿أَفَنصْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾

[الزخرف:٥]. ٤٥

المطلب الثاني: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[الزخرف:١٠]. ٤٩

الجملة الأولى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ٤٩

الجملة الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ٥١

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا

تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢]. ٥٢

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ

الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١]. ٥٥

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف:٦٣]. ٥٧

المبحث الرابع: سورة الدخان ٥٩

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

٥٩

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥]. ٦١

المطلب الثالث: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]. ٦٤

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨].

٦٩

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]. ٧٢

المبحث الخامس: سورة الجاثية ٧٤

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤]. ٧٤

الفصل الثاني: إضافات الماوردي في سور: (الأحقاف) و(محمد) و(الفتح)

و(الحجرات) و(ق). ٧٦

المبحث الأول: سورة الأحقاف ٧٦

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]. ٧٦

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ

الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتُّونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

الأحقاف: ٤]. ٧٨

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا

وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ [الأحقاف: ٢٦]. ٨٣

المبحث الثاني: سورة محمد ٨٦

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا

الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿ [محمد: ٣]. ٨٦

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا لَهُمْ ﴿ [محمد: ٦]. ٨٨

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿ [محمد: ١٧].

..... ٩٠

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ

وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ ﴿

[محمد: ٢٠]. ٩٢

المبحث الثالث: سورة الفتح ٩٤

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]. ٩٤

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

[الفتح: ٢٣]. ٩٦

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ

اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]. ٩٩

المبحث الرابع: سورة الحجرات ١٠١

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الحجرات: ٤]. ١٠١

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا

مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ

الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. ١٠٣

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ [الحجرات:١٣] ١٠٦

المبحث الخامس: سورة ق ١٠٧

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿ [ق:١] ١٠٧

المطلب الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿ [ق:١٦] ١١١

المطلب الثالث: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ

فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿ [ق:٢٢] ١١٣

المطلب الرابع: قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ ﴿

[ق:٢٨] ١١٦

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ [ق:٢٩] .

..... ١١٨

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ [ق:٢٩] .

..... ١٢٠

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

١٢١.....

المطلب الثامن: قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا

فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦]..... ١٢٣

المطلب التاسع: قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]. ١٢٦

الفصل الثالث: إضافات الماوردي في سور: الذاريات والطور والنجم..... ١٢٩

المبحث الأول: سورة الذاريات..... ١٢٩

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ [الذاريات: ١]..... ١٢٩

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢]..... ١٣١

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨]..... ١٣٣

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١١]..... ١٣٦

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].....

١٣٨.....

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]..... ١٤٢

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

١٤٥.....

المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَرَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٩].

١٤٨.....

المطلب التاسع: قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

١٥٣ **المبحث الثاني: سورة الطور**

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ [الطور: ١٣].

١٥٥ **المبحث الثالث: سورة النجم**

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ

الْمَغْفِرَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

اتَّقَىٰ ﴾ [النجم: ٣٢].

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٥].

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم: ٤٣].

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤].

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨].

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٦].	١٦٩.....
المطلب السابع: ﴿ أَفَمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ ﴾ [النجم: ٥٩].	١٧٢.....
المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم: ٦٠].	١٧٣.....
الخاتمة	١٧٦
أولاً: النتائج.	١٧٦.....
ثانياً: التوصيات.	١٧٧.....
قائمة المصادر والمراجع	١٧٩.....
المراجع باللغة العربية:	١٧٩
مراجع شبكة الإنترنت:	١٨٧
الملاحق	١٨٩.....
الجدول ١: خلاصة الدراسة في الفصل الأول	١٨٩
الجدول ٢: خلاصة الدراسة في الفصل الثاني.	١٩٥
الجدول ٣: خلاصة الدراسة في الفصل الثالث.	٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فقد فضّل الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية على سائر الأمم بفضيلتين عظيمتين، أولاهما: أنه أرسل فيها نبياً هو خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وثانيتها: أنه أنزل إليها كتاباً هو خير الكتب على الإطلاق وأفضلها، هو الكتاب الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه بنفسه أولاً من أي تحريف وعبث، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ثم عن طريق أهل العلم الراسخين الذين اعتنوا به تلاوةً، وحفظاً، وتفسيراً، وتدبراً، وعملاً. ومما لا شك فيه أن هذا القرآن لم يُنزل لمجرد التلاوة اللفظية فحسب، بل نزل من أجل فهم معانيه، وتدبر آياته، ثم العمل بها.

ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة للباحثة، فخير الطرق وأنفعها لفهم آيات القرآن الكريم والتبحر في معانيه هو الخوض في تفاسيره وكتبه ومصنفاته.

فكرة البحث:

جمع الإمام الماوردي في تفسيره (النكت والعيون) بين أقوال السلف والخلف في التفسير، ثم ذكر في بعض الآيات أقوالاً إضافية أو اجتهادات شخصية من عنده، وذكر في مقدمة تفسيره أنه عبّر عن هذه الإضافات بعبارة (محتمل) ليطمئن به عما ينقله عن غيره، فتدور فكرة البحث على دراسة الأقوال التي أضافها من جوانب متعددة، مثل: نوع الإضافة التي أوردتها، هل سبقه فيها أحد؟ وهل تبعه فيها أحد؟ وما مدى وجاهة الأقوال التي أوردتها؟

وحتى تتحقق الفائدة المرجوة من البحث، رجعت إلى عدد من التفاسير المتقدمة والمتأخرة للماوردي، مع مراعاة تعدد اتجاهات التفسير، وسأذكر هنا بعض التفاسير التي كان يغلب عليها اتجاه معين، فمثلاً تفاسيرٌ عنيت بالمأثور كجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، وبحر العلوم للسمرقندي، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، وأخرى عنيت بالنحو والبلاغة، كالكشف في حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، وإرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير عنيت بالإصلاح الاجتماعي، كظلال القرآن لسيد قطب، والتفسير الحديث لدروزة، وغيرها عديد من التفاسير المتنوعة في الاتجاهات المختلفة. كما أريد أن أنوه إلى نقطة مهمة، وهي: أنه تم ذكر العبارات الآتية: (لم يسبق الماوردي في قوله أحد - لم يتبع الماوردي في قوله أحد) بناءً على التفاسير المهمة التي تمكنت من التوصل والاطلاع عليها، إما ورقياً، أو إلكترونياً، وفي حال سبق الماوردي في قول، أو تبعه أحد فيه، ولم يُذكر في البحث، فهو بسبب عدم تمكن الباحثة من الوصول إلى المصدر المطلوب، أو عدم توفره لديها.

إشكالية البحث وأسئلته:

سيجيب هذا البحث عن الأسئلة الآتية:

١- ما نوع الإضافة التي ذكرها الماوردي؟

٢- ما مدى وجهة إضافاته في التفسير؟

٣- هل سبق أحد الماوردي في إضافاته؟ وهل تابع المفسرون الماوردي في هذه

الإضافات؟

٤- ما الأصول التي بنى عليها هذه الإضافات؟

أهمية البحث:

- ١- شرف علم التفسير، وذلك بشرف معلومه وهو القرآن الكريم.
- ٢- أهمية تفسير الماوردي ومكانته بين كتب التفسير، حيث يُعدُّ مرجعًا لعدد من المفسرين بعده كالعز بن عبد السلام، وابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني، وأبي حيان، وآخرين ممن نقلوا أقوال الماوردي في تفسيرهم.
- ٣- بيان طريقة الماوردي في ذكر الإضافات، ومعرفة الأصول التي اعتمد عليها في هذه الإضافات.
- ٤- أهمية الموضوع للباحثة، حيث إنه سيوسع الأفق في تخصص التفسير وعلوم القرآن، وذلك من حيث الاطلاع على عدد من كتب التفسير المتقدمة على زمن الماوردي والمتأخرة عن زمن الماوردي.

أهداف البحث:

- ١- الكشف عن طريقة الماوردي في إضافاته التفسيرية، من سورة فصلت إلى سورة النجم.
- ٢- مقارنة اجتهاداته باجتهادات المفسرين السابقين واللاحقين.
- ٤- تقييم اجتهادات الماوردي في تفسيره وبيان مدى وجاهتها.
- ٥- دراسة إضافاته، والترجيح بين الأقوال التي أوردها.

فرضيات البحث:

- ١- للماوردي إضافات في تفسيره.
- ٢- إضافات الماوردي في تفسيره لم يسبق إليها.

٣- إضافات الماوردي في تفسيره معتبرة.

حدود البحث:

- دراسة إضافات الماوردي في تفسيره (النكت والعيون) من بداية سورة فصلت إلى نهاية سورة النجم، وذلك بتتبع الإضافات التي أوردها بصيغتين:
 - (ويحتمل) والتي بلغ عددها خمسا وخمسين إضافة.
 - (وهو محتمل) وبلغ عددها إحدى عشرة إضافة.

الدراسات السابقة:

- هذا البحث عبارة عن مشروع جماعي لدراسة تفسير (النكت والعيون للماوردي)، وسبق إلى دراسته من سورة الفاتحة إلى سورة الحج عدد من الطلاب، الطالب الأول: عمر عقله الرويلي، من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة^(١)، والطالب الثاني: عبد السلام عبدي من سورة يونس إلى سورة النحل^(٢)، والطالب الثالث: مرزا أرشد نديم بك، من سورة الإسراء إلى سورة الحج^(٣).
- وفيما يخص الدراسات السابقة لنفس الموضوع فبعد البحث والاطلاع لم أجد من بحث في موضوع الإضافات، بل معظمهم تناول حياة الماوردي وعصره، ومصادره في تفسيره، ومنهجه فيه، أما هذه الدراسة فكانت معنيّة بدراسة الاحتمالات التي ذكرها الماوردي، تم تحليلها، ونقدها، ثم الترجيح بينها.
- ومن أهم هذه الرسائل التي درست منهج الماوردي:

^(١) <https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/12614>

^(٢) <https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/12616>

^(٣) <https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/15383>

أولاً: منهج الماوردي في تفسيره النكت والعيون، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات

الإسلامية بجامعة أم القرى، للباحث/ بدر محمد حسن إبراهيم الصميط. ١٩٨٦.

تناولت هذه الدراسة حياة الماوردي من مولده وتعليمه وشيوخه وأساتذته وطلابه ورحلاته العلمية، ثم ذكرت مصادره في تفسيره، والمنهج الذي سلكه فيه، وأهم الأمور التي اعتنى بها في تفسيره كأسباب النزول، وموقفه من الروايات الإسرائيلية، بالإضافة إلى عنايته بالقراءات القرآنية، وبالناحية اللغوية والفقهية.

ثانياً: الإمام أبو الحسن الماوردي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير بكلية الدراسات

العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، للباحث/ عبد السلام حسن احمد حامد.

.٢٠٠٤.

أهم ما تناولته هذه الدراسة: عصر الإمام الماوردي، وحياته، ومنهجه في علوم القرآن

والتفسير، ووجوه إعجاز القرآن عنده، وعقيدته من خلال تفسيره، ثم ذكرت أمثلة من

اختياراته الأصولية والفقهية.

ثالثاً: الماوردي ومنهجه في التفسير: دراسة مسحية عن الامام الماوردي البصري

الشافعي وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره النكت والعيون، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين

بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، للباحث: عاصم مصطفى دفع الله محمد أحمد. ٢٠٠٨.

أهم ما تناولته هذه الدراسة، هي: حياة الماوردي، وعصره، وآثاره، وشيوخه، ومؤلفاته،

ومصادره في تفسيره، بالإضافة إلى منهجه في تفسيره، وموقفه من القراءات المتواترة

والشاذة، وموقفه من الأسماء والصفات، ومنهجه في الناسخ والمنسوخ.

رابعاً: منهج الماوردي في تفسيره: النكت والعيون، رسالة دكتوراه بكلية الآداب بجامعة

الفتاح بليبيا، للباحث: سلم مفتاح علي امبارك. ٢٠١٠.

أهم ما تناولته هذه الدراسة: حياة الماوردي وأخلاقه، وصفاته وثناء العلماء عليه، ثم مصادره في التفسير، وعنايته بعلوم القرآن وموقفه من الإسرائيليات، كما تكررت تأثره بمن سبقه من المفسرين، وأثره في من جاء بعده، واتهامه بالاعتزال ودفع هذه التهمة عنه. خامسًا: الإشارات البلاغية في تفسير الماوردي، رسالة ماجستير بكلية الآداب، بالجامعة الإسلامية بغزة، للباحث: إسماعيل نبيل خالد. ٢٠١٩.

منهج البحث:

- **المنهج الاستقرائي:** استقراء إضافات الماوردي في السور المحددة للبحث من تفسيره، واستقراء التفسير السابقة واللاحقة للنظر فيمن سبقه إلى هذه المعاني، ومن أخذ عنه أو تعقبه.
- **المنهج التحليلي:** تحليل إضافات الماوردي لمعرفة الأصول التي من خلالها توصل إلى هذه المعاني الجديدة.
- **المنهج المقارن:** مقارنة الإضافات بأقوال السابقين واللاحقين له.
- **المنهج النقدي:** نقد وتقييم الإضافات وفق المقرر من أصول وقواعد التفسير ومقارنتها بأقوال المفسرين.

هيكل البحث:

- يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:
- مقدمة:** وتشتمل على (فكرة البحث - إشكالية البحث وأسئلته - أهمية البحث - أهداف البحث - فرضيات البحث - حدود البحث - الدراسات السابقة).

التمهيد: وفيه نبذة عن المفسر (باختصار كون الطلاب السابقين تناولوا هذه الجزئية بالتفصيل).

الفصل الأول: إضافات الماوردي في سورة فصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية.

ويشتمل على خمسة مباحث:

○المبحث الأول: سورة فصلت.

وفيه عشرة مطالب.

○المبحث الثاني: سورة الشورى.

وفيه أربعة مطالب.

○المبحث الثالث: سورة الزخرف.

وفيه ستة مطالب.

○المبحث الرابع: سورة الدخان.

وفيه خمسة مطالب.

○المبحث الثالث: سورة الجاثية.

وفيه مطلب واحد.

الفصل الثاني: إضافات الماوردي في سورة الأحقاف ومحمد والفتح والحجرات وق.

ويشتمل على خمسة مباحث:

○المبحث الأول: سورة الأحقاف.

وفيه ثلاثة مطالب.

○المبحث الثاني: سورة محمد.

وفيه أربعة مطالب.

○المبحث الثالث: سورة الفتح.

وفيه ثلاثة مطالب.

○المبحث الرابع: سورة الحجرات.

وفيه ثلاثة مطالب.

○المبحث السادس: سورة ق.

وفيه تسعة مطالب.

الفصل الثالث: إضافات الماوردي في سورة الذاريات والطور والنجم.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

○المبحث الأول سورة الذاريات.

وفيه تسعة مطالب.

○المبحث الثاني: سورة الطور.

وفيه مطلب واحد.

○المبحث الثالث: سورة النجم.

وفيه ثمانية مطالب.

خاتمة تشتمل على:

○ أهم النتائج

○ التوصيات

التمهيد: ترجمة الإمام الماوردي رحمه الله

اسمه ونسبه ولقبه:

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم^(١)، لُقّب بالماوردي، نسبة إلى بيع الماورد^(٢). أي: ماء الورد.

ميلاده:

ولد الإمام الماوردي سنة ٣٦٤ هـ في مدينة البصرة، ثم انتقل إلى بغداد^(٣).

شيوخه:

تلقى الإمام الماوردي العلم في البصرة وبغداد وكان له فيهما شيوخ وتلاميذ، فمن أهم شيوخه شيخه في البصرة: أبو القاسم الصيمري^(٤).

كما أخذ الفقه في بغداد عن أبي حامد الإسفرايني، الذي قيل عنه: إنه كان إماماً فاضلاً متديناً، حسن السيرة، قليل الاختلاط بالناس، يحضر درسه سبعمائة فقيه، وكان يقال له: "الشافعي الصغير"^(٥).

(١) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٠٠م)، ج٣، ص٢٨٢.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٤.

(٣) ينظر: الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ص٢٠٠٢م)، ج٤، ص٣٢٧.

(٤) ينظر إلى ترجمته في: السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي-عبد الفتاح محمد الحلوة، (دم، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ) ج٣، ص٣٢٩-٣٤٢، الجزري: عز الدين ابن الأثيري، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٨٠)، ج٢، ص٢٥٥، والنووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت) ج٢، ص٢٦٥.

(٥) ينظر إلى ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٤٧.

تلاميذه:

اشتهر الماوردي بكثرة تلاميذه، ومن أشهرهم: الخطيب البغدادي^(١)، وهو أحد كبار العلماء في عصره، وآخرين مثل: عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوزان، الملقب بـ"ركن الإسلام"^(٢)، وأحمد بن عبيد الله المعروف بـ"ابن كادش"^(٣).

مؤلفاته ومصنفاته:

له العديد من المصنفات في المجالات المختلفة كالفقه، والتفسير، والأصول، والأدب،

منها:

١- الحاوي: وهو الشرح الكبير لمختصر المزني، لم يطلع عليه أحد إلا شهد له بالتبحر في الفقه.

٢- الإقناع: موجز دقيق للفقه الشافعي في صفحات معدودة.

٣- أدب الدنيا والدين: تناول فيه موضوعات أخلاقية، وإرشادية، وفضائل دينية.

٤- الأحكام السلطانية: هو كتاب جمع فيه الأحكام المتعلقة بالخلفاء والملوك والولاة والوزراء والقضاة.

٥- قوانين الوزارة: هو كتاب محقق، تناول فيه كل ما يخص الوزارة، ابتداءً من تعريفها وأنواعها، إلى مؤهلات الوزراء وعلاقتهم ببعضهم وبمن يرأسهم.

٦- أمثال القرآن: أفرد هذا الكتاب لأمثال القرآن بالشرح والبيان والإيضاح والتبيين.

(١) ينظر إلى ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٩٢.

(٢) ينظر إلى ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) ينظر إلى ترجمته في: ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي، البداية والنهاية،

تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، (د.م: دار هجر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧م)، ج ١٦، ص ٢٩٣.

٧-أعلام النبوة: كتاب في العقائد، تكلم فيه عن إثبات النبوات، وأقسامها وأحكامها، كما

تكلم عن معجزات النبي ﷺ القولية والفعلية^(١).

عقيدته:

سأذكر هنا باختصار بعض ما ذكره العلماء عن عقيدته، لأثر عقيدة المفسر في

تفسيره لآيات القرآن الكريم.

فقد اتهمه بعض العلماء بالاعتزال، واختلفوا في هذا الاتهام، فقال عنه الذهبي:

"صدوق في نفسه، لكنه معتزلي"^(٢)، وقال ابن حجر العسقلاني -بعد أن أورد عبارة

الذهبي-: "ولا ينبغي أن يُطلق عليه اسم الاعتزال"^(٣)، وقال ابن العماد: "وافق المعتزلة

في بعض المسائل كالقول في القدر، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة"^(٤).

ومما يظهر لي أنه اتُّهم بالاعتزال لأنه أورد في كتابه بعض تفسيرات المعتزلة

في بعض الآيات التي كانوا يستدلون بها على المسائل الاعتقادية.

ويُردُّ على هذا الاتهام بأنه عندما كان يذكر أقوالهم، لعله كان يقصد بذلك جمع

الأقوال، كما قال في مقدّمة تفسيره: "وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف"، فهو كان

(١) إسماعيل نبيل خالد، الإشارات البلاغية في تفسير الماوردي، رسالة ماجستير، ص ٧-٨-٩.

(٢) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق:

علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣)، ج ٣، ص ١٥٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف

النظامية-الهند، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٩٧١)، ج ٦، ص ٢٤.

(٤) ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود

الأرنؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ج ٥، ص ٢١٨.

يورد هذه التفسيرات وغيرها عن مختلف الفرق الإسلامية، ولا يعلق عليها في الغالب، فكان يروي أيضا تفاسير الصوفية دون تعقيب.

أقوال العلماء فيه:

-قال عنه تلميذه: الخطيب أبو بكر البغدادي: "كان من وجوه الفقهاء"^(١)، وقال أيضًا: "كتبت عنه، وكان ثقة"^(٢).

-وقال ابن خيرون: "كان رجلاً جليلاً، عظيم القدر، متقدماً عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلوم"^(٣).

وقال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: "كان إماماً جليلاً رفيع الشأن له اليد الباسطة في المذهب، والتفنن التام في سائر العلوم"^(٤).

وقال عبد الملك الهمذاني: "لم أر أوقر منه، لم أسمع منه مضحكة قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا"^(٥).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: "كان حليماً وقوراً أديباً، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه"^(٦).

(١) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ٦٣٦.

(٢) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٢م)، ج ١٣، ص ٥٨٧.

(٣) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٦٧.

(٥) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأديباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م)، ج ٥، ص ١٩٥٦.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٧٦٢.

وفاته:

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء نهاية شهر ربيع الأول من سنة خمسين وأربع مائة، وصلى عليه تلميذه الخطيب البغدادي في جامع المدينة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد، وكان قد بلغ ستاً وثمانين سنة^(١).

(١) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٨٤.

الفصل الأول: إضافات الماوردي في سور: فصلت والشورى والزخرف والدخان

والجاثية

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: سورة فصلت

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ

حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فاعمل بما تَعَلَّم من دينك فإننا نعمل بما نعلم من ديننا، قاله الفراء^(١).

الثاني: فاعمل في هلاكنا فإننا نعمل في هلاكك، قاله الكلبي^(٢).

الثالث: فاعمل لإلهك الذي أرسلك فإننا نعمل لآلهتنا التي نعبدها، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: فاعمل لآخرتك فإننا نعمل لدنيانا"^(٣).

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي أبو زكريا الفراء، كان رأساً في النحو واللغة، له كتاب اسمه (معاني القرآن)، ينظر إلى ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٧٣، والخطيب، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٤٩.

(٢) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي، كان إماماً في علم التفسير وعلم النسب، ينظر إلى ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٣) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٢م)، ج ٥، ص ١٦٨.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن كل قولٍ فسر المراد من

العمل بعبارة غير الأخرى.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(١) والشوكاني^(٢).

وفي هذه الآية الكريمة يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه منذ أن جهر النبي ﷺ بدعوته، وبدأ

يدعو الناس إلى الإسلام، استنكر المشركون هذا الأمر ورفضوه، وقالوا للنبي ﷺ: "قلوبنا في أغشية

مانعة مما تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا نسمع ما تدعوننا إليه، ومن بيننا وبينك حجاب يمنع

يمنعنا عن إجابة دعوتك، فاعمل ما شئت إننا عاملون ما شئنا"^(٣).

والحجاب في اللغة من الحجب أي: المنع، ومعنى الحجاب في الآية: الحاجز والمانع في

النحلة والدين، لا الحجاب الحسي^(٤)، أي: يوجد يا محمد من بيننا وبينك حجاب وسائر لا نجتمع

(١) ينظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦م)، ج١٨، ص٣٩٢.

(٢) ينظر: الشوكاني: محمد بن علي محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، (بيروت: دار المعرفة، ط٤، ٢٠٠٧)، ج١، ص١٣٠٩.

(٣) لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، د.ت)، ج١، ص٧٠٧.

(٤) الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م) ج١، ص٣٧٣.

من أجله، وهذا السائر هو الاختلاف في الدين، فديننا هو عبادة الأوثان، ودينك عبادة الله سبحانه وتعالى^(١).

وهناك تشابه بين بعض الأقوال الواردة في الآية، فالقول الأول والثالث قريبان في المعنى، لأن الدين من عند الإله، والعمل به يكون من لوازم العمل للإله. وإضافة الماوردي وإن كان لفظها مختلفاً، إلا أنها من لوازم القولين السابقين، فالعمل للأخرة من لوازم الدين وطاعة الله سبحانه وتعالى، والكفار كان همهم الوحيد هو اللهو واللعب في الدنيا، دون التفكير بمصيرهم وجزائهم في الآخرة.

أما القول الثاني فكأنه أسلوب التهديد، لأنهم قاموا بتهديد النبي ﷺ بهلاكه، قال ابن عطية: "يحتمل أن يكون القول تهديداً، ويحتمل أن يكون متاركة محضة"^(٢).

وذكر بعض المفسرين أقوالاً قريبة من هذا المعنى، منها: "اعمل أنت في كيدنا، فإننا عاملون في كيدكم والمكر بكم"^(٣)، وقيل: "اعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك"^(٤).

(١) ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠١م) ج٢٠، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٢) ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، د.ت)، ج٥، ص٤.

(٣) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م)، ج٩، ص٦٠.

(٤) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج٤، ص١٨٥.

الترجيح:

جميع الأقوال التي أوردها الماوردي صحيحة وتحتملها الآية، فالمشركون استمروا على دينهم، وأنكروا دعوة النبي ﷺ، ووضعوا الخطط والخدع لقتله ﷺ، وقاموا بإيذائه الجسدي والمعنوي بالإضافة إلى تعذيبه وتعذيب أصحابه.

إلا أنَّ الأولى هو حمل الآية على الأقوال التي وردت بأسلوب المتاركة لا التهديد^(١)، لأنه جاء بعد الآية التي معنا قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦] فدللت هذه الآية على أن الآية السابقة جاءت في سياق حوار بين النبي ﷺ والمشركين دون أي تهديد، والقاعدة نقول: توجيه كلام الله تعالى إلى ما كان له نظير لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى غيره^(٢).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ما بين أيديهم من أمر الدنيا، وما خلفهم من أمر الآخرة، قاله السدي ومجاهد.

الثاني: ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم

من أمر الدنيا فزينوا لهم اللذات، قاله الكلبي.

(١) المتاركة: القول الأول، والثالث، والرابع. التهديد: القول الثاني.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

الثالث: ما بين أيديهم هو فعل الفساد في زمانهم، وما خلفهم هو ما كان قبلهم، حكاة ابن

عيسى^(١).

الرابع: ما بين أيديهم ما فعلوه، وما خلفهم ما عزموا أن يفعلوه.

ويحتمل خامساً: ما بين أيديهم من مستقبل الطاعات أن لا يفعلوها، وما خلفهم من سالف

المعاصي أن لا يتوبوا منها"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الآية أطلقت فعل التزيين، ولم

تقيده بزمان أو مكان أو فعل مخصص، فعبر المفسرون عنه بألفاظ مختلفة، متقاربة المعنى.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد. إلا أن القشيري ذكر قولاً مقارباً له، فقال:

"﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من طول الأمل، ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من نسيان الزَّلَلِ، والتسوية في التوبة، والتقصير

في الطاعة"^(٣).

والأقوال الواردة في الآية السابقة تحتوي على فارقين: نوع التزيين وزمانه.

(١) هو: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، نحوي معتزلي، أخذ عنه الزجاج، وابن زيد، وأبو القاسم، صنف في التفسير واللغة والنحو والكلام وله في الانشقاق والتصريف، ينظر إلى ترجمته في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٥٣٣-٥٤٣.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) القشيري: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني،

(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، د.ت) ج ٣، ص ٣٢٦.

فتقسيم القولان الأول والثاني كان بناءً على زمن الحاضر والمستقبل وفيهما تقديم وتأخير،
وتقسيم القول الثالث كان بناءً على زمن الحاضر والماضي، أما القول الرابع كان بين الفعل والعزم.
أما إضافة الماوردي، فاشتملت على زمن التزيين ونوعه، فإما أن يزين لهم القراء عدم
فعل الطاعة في المستقبل، أو يزينوا لهم عدم التوبة من المعاصي السابقة التي حدثت في الماضي.
وهناك أقوال أخرى ذكرت في تفسير الآية، منها: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: "ما عملوا بأنفسهم،
﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما سنوا لغيرهم من بعدهم" (١)، وقيل أيضًا: أن ما بين أيديهم يعني: "ما كان عليه
آباؤهم من أمر الجاهلية" (٢)، يقول ابن عطية: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أن القراء علموهم
وقرروا في نفوسهم معتقدات السوء في أمور الرسل، ومدح عبادة الأصنام واتباع فعل الآباء، وغير
ذلك (٣).

الترجيح:

جميع الأقوال المذكورة في تفسير الآية بما فيها إضافة الماوردي ذكرت المراد من التزيين
بعبارات متقاربة، فالله سبحانه وتعالى جعل للظالمين قراء زينوا لهم ترك الطاعات وفعل المعاصي
في الدنيا، وزينوا لهم مصيرهم في الآخرة.

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٧٥.

(٢) السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم،
تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، (بيروت: دار الكتب العلمية،
ط ١، ١٩٩٣م)، ج ٣، ص ١٨١.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٢.

وبما أن فعل التزيين أتى مطلقاً دون تقييد للنوع والزمان والمكان، فيمكن أن تُعدَّ جميع الأقوال الواردة صحيحة، ولا يستلزم الترجيح بينها، لأنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه^(١).

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومجاهد.

الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله ابن عباس والحسن وقتادة.

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي.

الرابع: ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم.

الخامس: ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً.

ويحتمل سادساً: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي، لأن

التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة، ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة^(٢).

(١) الحربي: حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، (الرياض، دار القاسم، ط١،

١٩٩٦م)، ج١، ص ٥٣٦.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص ١٧٩-١٨٠.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسبب الاختلاف أن الاستقامة من

الألفاظ العامة الجامعة، فذكرت الأقوال أمثلة عليها.

الدراسة:

القول الذي أضافه الماوردي سَبَقَ وقد ذكر الثعلبي جزءًا منه فقال: "استقاموا على أمر الله

تعالى، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته"^(١).

ومعنى الاستقامة في اللغة: "الاعتدال، يقال: استقام له الأمر"^(٢)، كما يقال: "عدم الاعوجاج

والميل"^(٣).

وفي الاصطلاح لها معاني متعددة، منها التي أوردها الماوردي في الأقوال، ومنها أيضًا:

ملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في جميع الأمور الدينية والدنيوية من الطعام والشراب

واللباس^(٤).

(١) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد

ابن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م)، ج٨، ص٢٩٤.

(٢) الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف

الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٩٩٩م)، ص٣٦٢.

(٣) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية

للنشر، د.ط، ١٩٨٤م) ج٢٤، ص٢٨٢.

(٤) ينظر: الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون

السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣م)، ص٢٣.

وجاءت الاستقامة في آيات أخرى من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾،

وكان المراد منها في هذه الآية: استقم على دين ربك، والعمل به والدعاء إليه كما أمرت^(١).

كما جاءت في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧]،

وكان المراد منها هنا: الوفاء بالعهد والثبات عليه، يقول ابن عاشور: الاستقامة تشمل معنى الوفاء

بما كلفوا به، وأولها الثبات على أصل التوحيد^(٢).

وقسم الفخر الرازي الآية إلى قسمين، فقال بأن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

يتناول القول والاعتقاد، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ يتناول الأعمال الصالحة^(٣).

الترجيح:

الاستقامة كلمة جامعة تشمل الاعتقاد والقول والعمل، يقول ابن القيم: "الاستقامة كلمة

جامعة، آخذة بمجامع الدين. وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي

تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات"^(٤).

وجميع الأقوال التي أوردها الماوردي هي من لوازم القول الأول، فطاعة الله تعالى، وأداء

الفرائض، والاستقامة في الأقوال والأفعال، وفي السر والجهر، وبين فعل الطاعات واجتتاب

(١) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وسليمان مسلم، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١، ١٤٠٩هـ)، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٢٨٢.

(٣) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ) ج ٢٧، ص ٥٦٠.

(٤) ابن قيم ابن الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفيقي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٣م) ج ٢، ص ١٠٥.

المعاصي هي من لوازم كلمة التوحيد، كما أن جميع الأقوال ذكرت أمثلة للاستقامة، أو بينت كيفية إقامتها، فتعتبر جميعها صحيحة وتحتملها الآية، ولا يستلزم الترجيح بينها.

المطلب الرابع: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ ﴾ [فصلت: ٣١].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة، قاله السدي.

الثاني: نحفظكم في الحياة الدنيا، ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة.

ويحتمل ثالثاً: نحن أولياؤكم في الدنيا بالهداية، وفي الآخرة بالكرامة"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف المذكور في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الأقوال الثلاثة

ذكرت وجوهاً مختلفة لكيفية حفظ الملائكة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

الدراسة:

لم يُسَبَق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٠.

ومعنى الولاية هو: "الحفظ والنصرة والمعونة"^(١). والأقوال الواردة في تفسير الآية متقاربة، فالخلاف بين القولين الأول والثاني هو أن الأول ذُكر فيه أن الملائكة في الآية هم الحفظة^(٢)، ولم يرد هذا في القول الثاني.

أما إضافة الماوردي، فهي قريبة من التفسير الإشاري للآية، وهي تدخل في معنى الحفظ والمعونة، يقول القشيري: الولاية من الله في الدنيا تكون بالمحبة وتحقيق المعرفة والعناية والرضا بالقضاء والقدر، وفي الآخرة بتحصيل المغفرة وحسن الكفاية وجميل الرعاية واللقاء في دار البقاء^(٣). ومن الأقوال الأخرى التي وردت في الآية، قول بعضهم إن الملائكة هنا هم الذين يأتون لقبض الأرواح^(٤). وذكر ابن كثير: "تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمِّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم"^(٥).

(١) السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧) ج٥، ص٥١.

(٢) الحفظة هم نوع من الملائكة، يحرصون العباد بإذن الله وقدره.

(٣) ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج٣، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٤) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ) ج٤، ص٥١.

(٥) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ)، ج٧، ص١٦٢.

الترجيح:

جميع الأقوال التي أوردها الماوردي صحيحة وتحتملها الآية، لأنها بينت كيفية حفظ ومعونة الملائكة للمؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة بألفاظ متقاربة تؤدي إلى نفس المعنى، وتعتبر إضافة الماوردي من لوازم القولين الأول والثاني.

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ادفع بحلمك جهل من يجهل، قاله ابن عباس.

الثاني: ادفع بالسلامة إساءة المسيء، قاله عطاء.

ويحتمل ثالثاً: ادفع بالتغافل إساءة المذنب، والذنب من الأدنى، والإساءة من الأعلى^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن جميع الأقوال ذكرت أمثلة

لكيفية الدفع بالأحسن بألفاظ مختلفة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي ولم يتبعه أحدٌ في قوله بنفس اللفظ، إلا أن أغلب أقوال المفسرين تدور

حول المعنى نفسه.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٢.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم»^(١). وقال آخريين: الدفع بالأحسن يكون بالسلام على من أساء إليك إذا قابلته، وقيل أيضًا: ادفع بالكلمة الحسنة الكلمة القبيحة^(٢).

وتعدّ هذه الآية الكريمة من المبادئ الأخلاقية التي أقرّها القرآن الكريم، كما جاءت آية أخرى بنفس المعنى، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فالإنسان وُجِدَ في بيئة اجتماعية، ولا بد له من مخالطة الآخرين والتعامل معهم، وعند التعامل قد يسيء إليه بعض الناس بقصد أو بغير قصد، لذا وجب عليه كظم غيظه، والصبر على من أساء إليه، بل بالعفو عنه ومقابلته بالأحسن، فعن سهل بن معاذ، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء»^(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، وكان آخر مجلس جلسه متعطفًا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس إلي»، فثابوا إليه، ثم قال: «أما بعد،

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٢) السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ١٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود، في السنن، كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا، ج ٤، ص ٢٤٨، رقم (٤٧٧٧)،

قال الألباني: حسن.

فإن هذا الحي من الأنصار، يقلون ويكثر الناس، فمن ولي شيئاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فاستطاع أن يضر فيه أحداً أو ينفع فيه أحداً، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»^(١).

فما أحوجنا اليوم للعمل بهذا الخلق الحسن!

الترجيح:

جميع الأقوال المذكورة في الآية بما فيها إضافة الماوردي أمثلة على مبدأ الدفع بالأحسن، فكظم الغيظ، والصبر على الأذى، والتغافل عن إساءة المذنب كلها أخلاق لا بد للمسلم أن يتحلى بها، لذا تعد جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، ولا مانع أن يدخل غيرها من الأخلاق الحسنة إن أدت إلى نفس المعنى في تفسير الآية.

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٥].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ذو حد عظيم، قاله السدي.

الثاني: ذو نصيب [وافر] من الخير، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحظ العظيم الجنة. قال الحسن: والله ما عظم حظ قط دون الجنة.

ويحتمل رابعاً: أنه ذو الخلق الحسن^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد التثاء: أما بعد، ج ٢، ص ١١، رقم (٩٢٧).

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٢-١٨٣.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع يرجع إلى أمرين، الأول: تعيين المراد من الحظ في الآية، والثاني: تعيين المستحق لفعل الدفع بالأحسن، والذي جاء في الآية السابقة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

وأتى اختلاف المفسرين حول المراد من الحظ في الآية، فهل كان المراد منه: لن يوفق لفعل الدفع بالأحسن إلا من كان ذا نصيب وافر من الخير أو الأخلاق الحسنة؟ أم المراد من الحظ هو الجنة، فلن يوفق لفعل الدفع بالأحسن إلا من كتب الله له الجنة؟

وكلا القولين ذكرهما عدد من السلف والمفسرين، وجاء في الأقوال التي أوردها الماوردي عن ابن عباس أنه ذكر أن المراد من الحظ: ذو نصيب وافر من الخير، لكن وَرَدَ عنه أيضًا القول الثالث فقال: هم الذين أعد الله لهم الجنة، كما قال به قتادة أيضًا^(١).

ويقول أبو حيان في تفسير الآية: الضمير في: (وما يلقاها) عائد على الفعلة التي هي الدفع بالأحسن، فكأن هذه الخصلة الشريفة الغائبة لا يصادفها ولا يلقاها إلا من كان صابراً على الطاعات صارفاً عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير^(٢).

ويدخل في هذا قول الماوردي، فالخلق الحسن من خصال الخير.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) ينظر: أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد حميل، (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٠م) ج ٩، ص ٣٠٧.

الترجيح:

جاءت الآية في سياق ذكر الأخلاق الحسنة وضرورة التحلي بها، لذلك يكون الأرجح في الآية هو مجموع الأقوال: الأول، والثاني، وإضافة الماوردي، فلا يتلقى هذا الخلق الحسن إلا من كان ذا حظ ونصيب وافر من الخير والأخلاق الحسنة.

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ

وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِيبي الْمَوْتى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غبراء دارسة، قاله قتادة.

الثاني: ميته يابسة، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: ذليلة بالجدب لأنها مهجورة، وهي إذا أخضبت عزيزة لأنها معمورة"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه ذكر أوصاف مختلفة للأرض

الخاشعة بمعاني متقاربة.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٣-١٨٤.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في إضافته، ولم يتبعه فيها أحد. لكن ذكر عدد من المفسرين^(١) بعده ما يقارب معنى قوله، فقالوا: المراد من الخشوع هنا: التذلل والتصاغر، ثم استعير لحال الأرض إذا كانت قحطة خالية من المطر ولا نبات فيها.

وإضافة الماوردي في هذه الآية وإن أدت إلى المعنى نفسه، إلا أنها وصف جديد، فالماوردي ذكر أن الأرض تكون ذليلة بالجذب، وكلمة جَدَب في اللغة تأتي بمعنى الاحتباس، فيقال: "جذب المكان جدبا لاحتباس الماء فيه"^(٢)، فإذا احتبس الماء ولم ينزل المطر تصبح الأرض مهجورة ميتة يابسة، فإذا أنزل الله عليها المطر أصبحت عزيزة معمورة.

ولسيد قطب قول جميل في الآية، فيقول بما في معناه: نقف هنا لحظة أمام دقة التعبير

القرآني، فخشوع الأرض هنا هو سكونها قبل نزول الماء عليها، فإذا نزل عليها الماء اهتزت

وربت، وكأنما هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة، والسياق التي وردت فيه هذه الآية

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٠١، والبيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ)، ج ٥، ص ٧٢، وأبو السعود: محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، ج ٨، ص ١٥، والبخاري: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، ١٩٩٢م)، ج ١٢، ص ٢٥٦، =

= والألوسي: شهاب الدين محمود عبد الله، روح المعاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت: دار

الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ)، ج ١٢، ص ٣٧٧.

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد النجار)،

المعجم الوسيط، (دم: دار الدعوة، د. ط، د. ت)، ج ١، ص ١٠٩.

سياق خشوع وعبادة وتسبيح، فجيء بالأرض في هذا المشهد، شخصاً من شخوص المشهد،
تشارك فيه بالشعور المناسب وبالحركة المناسبة^(١).

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة بينت لنا حال خشوع الأرض بأوصاف مختلفة تؤدي إلى معنى
واحد، لذا تعدّ جميعها صحيحة، وتحتملها الآية، وإضافة الماوردي جديدة وقيّمة.

المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

[فصلت: ٤٢].

الجملة الأولى:

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ في ﴿الْبَاطِلُ﴾ هنا أربعة أقاويل:

أحدها: أنه إبليس، قاله قتادة.

الثاني: أنه الشيطان، قاله ابن جريج.

الثالث: التبديل، قاله مجاهد.

الرابع: التعذيب، قاله سعيد.

ويحتمل خامساً: أن الباطل التناقض والاختلاف^(٢).

(١) ينظر: سيد قطب: إبراهيم بن حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط١٧،

١٤١٢هـ)، ج٥، ص٣١٢٥.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص١٨٥.

النظر في الأقوال:

الاختلاف بين الأقوال الواردة اختلاف تنوع، وسببه أن الباطل لفظ عام يشمل كل ما هو خلاف للحق، فذكرت الأقوال أمثلة عليه.

الدراسة:

الإضافة التي ذكرها الماوردي لم يُسبق لأحد من المفسرين ذكرها، وتبعه في ذلك النسفي^(١) وحسن صديق خان بتغيير بسيط^(٢).

والباطل في اللغة: "ضد الحق"^(٣)، وفي الاصطلاح: "هو الذي لا يكون صحيحًا بأصله، أو هو: ما لا يعتد به ولا يفيد شيئاً"^(٤).

وفي الاصطلاح القرآني يتغير مفهوم الباطل بحسب السياق الذي يأتي فيه، ففي قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُفُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، كان المراد من الباطل: "خط الصدق بالكذب"^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨] كان المراد منه: "الشرك"^(٦)، وجاء في آيات أخرى بمعنى إبليس، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

(١) ينظر: النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٩٩٨م)، ج ٣، ص ٢٣٩.

(٢) ينظر: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٢، ص ٢٥٩.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٦.

(٤) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ٤٦.

(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٦٠٦.

(٦) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٢٩٧.

وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ [محمد: ٣] قال قتادة: "والحق كتاب الله القرآن، والباطل إبليس" (١).

ومن معانيه أيضًا الزيادة والنقصان، قال الزجاج: "فيه وجهان: أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله ولا يأتي بعده كتاب يبطله. والوجه الثاني أنه محفوظ من أن ينقص منه فيآتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيآتيه الباطل من خلفه" (٢). قال الواحدي: ومعنى الباطل على هذا: الزيادة والنقصان" (٣).

الترجيح:

الباطل من الألفاظ العامة الجامعة، ولا يمكن حمله على معنى خاص إلا بدليل، وبما أننا لم نجد دليلاً فيكون الأولى القول بأن جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، لأنه لا يجوز ادعاء خصوص في آيةٍ ظاهرها عام، إلا بحجة يجب التسليم لها (٤)، كما أن اللفظ إذا احتمل عدة معانٍ ولم يمتنع إرادة المجموع حمل عليها (٥).

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٢، ص ٢٤١.

(٢) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨م)، ج ٤، ص ٣٨٨.

(٣) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م)، ج ٤، ص ٣٨.

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٥) ينظر: السبتي: خالد عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، (دم: دار ابن عفان، د.ط، د.ت)،

قال الطبري بعد أن ذكر عدة أقوال لمعنى الباطل: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال، معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيدته تغييره بكيدته، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه"^(١).

الجملة الثانية:

قال الماوردي: "في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يأتيه الباطل من كتاب قبله، ولا يأتيه من كتاب بعده، قاله قتادة.

الثاني: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل، ولا من آخره.

الثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم، ولا في إخباره عما تأخر، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: ما بين يديه: لفظه، وما خلفه: تأويله، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا

تأويل"^(٢).

النظر في الأقوال:

الجملة جزء من الآية في المثال السابق، والاختلاف في الأقوال المذكورة فيها اختلاف

تنوع يرجع إلى ذكر معانٍ متعددة لما بين يدي الكتاب وما خلفه.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

والقول الأول المذكور يختص بنقض الباطل من خارج القرآن سواء من الكتب السابقة أو

التحريفات اللاحقة، أما باقي الأقوال فهي مختصة بنقض الباطل من القرآن نفسه.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٤٤٥.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٥-١٨٦.

وقول الماوردي وإن أدى إلى المعنى نفسه، إلا أنه جديد في تفسير الآية، فالقرآن الكريم لا يأتيه الباطل في لفظ ولا في تأويل، لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه من الضياع، أو الزيادة، أو النقصان، قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يقول الطبري في هذه الآية: "وإننا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"^(١). وقال ابن كثير: "ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين"^(٢). وقال ابن عاشور: "لا يتطرق الباطل ولا يخالطه صريحه ولا ضمينه، والمقصود استيعاب الجهات تمثيلاً لحال انتفاء الباطل عنه في ظاهره وفي تأويله، فمعنى: لا يأتيه الباطل: لا يوجد فيه ولا يداخله، وليس المراد أنه لا يدعى عليه الباطل"^(٣).

ونبه هنا ابن عاشور على أمر مهم، وهو: ليس المراد من الآية "لا يدعى عليه الباطل"، و أعتقد أن معنى كلامه هو أن القرآن محفوظ في ألفاظه ومعانيه وتأويلاته الدالة على الحق، أما في المعاني والتأويلات الدالة على الباطل، فأرى أنه حاول كثير من أعداء الإسلام مثل الفرق الباطنية والحدائثيين والمستشرقين ادعاء الباطل على القرآن، وتأويل آياته على معاني شنيعة وبعيدة عن التأويل، فإتهام القرآن بالباطل موجود، لكن الله سبحانه وتعالى متكفل بحفظه.

الترجيح:

جميع الأقوال السابقة المذكورة في الآية صحيحة، وتحتملها الآية، فإله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم من جميع النواحي، يقول الزمخشري: "كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم، ج ١٧، ص ٦٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٣٠٩.

إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به"^(١)، وقال السعدي: "لا يقربُه شيطانٌ من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه"^(٢).

المطلب التاسع: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَعَرَبِيَّةُ

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

[فصلت: ٤٤].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من مكان بعيد من قلوبهم، قاله علي كرم الله وجهه ومجاهد.

الثاني: من السماء، حكاه النقاش^(٣).

الثالث: ينادون بأشبع أسمائهم، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: من مكان بعيد من الإجابة"^(٤).

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللوحيق، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م)، ص ٧٥٠.

(٣) هو: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن سند، أبو بكر النقاش، كان عالماً بالتفسير والقراءات، له تفسير مخطوط اسمه "شفاء الصدور"، ينظر إلى ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٥٨، والسبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ١٣٥.

(٤) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٨٧.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يذكر الأوجه المختلفة التي سينادي

بها الخلق يوم القيامة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في الإضافة التي ذكرها، ولم يتبعه أحد من المفسرين.

وتعد إضافته في هذه الأقوال قريبة من القول الثاني، فالقول الثاني ورد فيه أنهم سينادون

يوم القيامة من السماء، والسماء مكان بعيد من الإجابة.

وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: هي تشبيه من الله تعالى لعمى

قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حجج ومواعظ، وهذا كقول العرب للرجل قليل الفهم: إنك

لتنادى من بعيد، وللفاهم: إنك لتأخذ الأمور من قريب، وقال آخرون: بل معنى ذلك أن المناداة

على حقيقتها، فهم سينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمائهم^(١)، يعني يقال للرجل:

يا فاسق، يا منافق، يا كذا^(٢).

أي: إما أن القول مجازي ولا حقيقة لمناداتهم من مكان بعيد، فهو استعارة لقلّة فهمهم، أو

أنه حقيقي فسينادون من مكان بعيد بأشنع أسمائهم.

الترجيح:

الأصح في هذه الآية هو عدم البحث في تفاصيلها كثيراً، وتركها على المعنى الظاهر

والمفهوم منها، لأنها من الأمور الغيبية، ولا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ٤٨٤-٤٨٥.

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٢٣١.

المبحث الثاني: سورة الشورى.

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ [الشورى: ١٣].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا

الدِّينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اعملوا به، قاله السدي.

الثاني: ادعوا إليه. قال مجاهد: دين الله في طاعته وتوحيده واحد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متنوعة لكيفية

إقامة الدين.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد، إلا أن معظم المفسرين اتفقوا على أن

الآية الكريمة تحت المسلمين للعمل بهذا الدين والحفاظ عليه بكل الوسائل.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ١٩٧.

وقد ذكر بعض المفسرين معاني مشتركة لإقامة الدين مثل: الاستقامة عليه، والثبات على التوحيد، وفعل الطاعات وامتثال الأوامر^(١)، قال الزمخشري: إقامة الدين هو توحيد الله وطاعته ورفض سواه والعمل بأركان الإيمان^(٢)، كما ذكر ابن عطية بأن إقامة الدين تعني: "تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ والمواظبة عليه"^(٣).

وتعد إضافة الماوردي جديدة وقيّمة، فمجاهدة من يعاند هذا الدين أمر ضروري، لا سيما في زمننا الحالي، ولا يشترط أن يكون المراد من قول الماوردي الجهاد على حقيقته كالجهاد بالسيف وغيره، فللجهاد صور متعددة، منها مثلاً: الرد على الشبهات والطعنات الموجهة إليه من الأعداء، والرد قد يكون كلامياً، أو كتابياً، فكما يقومون هم بكتابة المقالات والأبحاث، ونشرها على مواقع عالمية، وجب علينا نحن الرد عليها، والدفاع عن ديننا الإسلامي بنفس الأسلوب، فكل هذا يدخل في باب الجهاد على هذا الدين.

الترجيح:

جميع الأقوال التي أوردها الماوردي أمثلة لكيفية إقامة دين الله تعالى، فتعد جميعها صحيحة وتحتملها الآية، وإضافة الماوردي جديدة وقيّمة، وإن كانت هناك أقوال أخرى تؤدي إلى نفس المعنى فيمكن الأخذ بها أيضاً، لأن اللفظ إذا احتمل عدة معاني ولم يمتنع إرادة المجموع حمل عليها^(٤).

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٦٧.

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢١٥، ابن عطية، المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٢٩.

(٣) الألويسي، روح المعاني، ج ١٣، ص ٢٢.

(٤) ينظر: السبب، قواعد التفسير، ص ٨٠٧.

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَيِّئَةٌ مِنْ

رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّزِبٍ ﴿[الشورى:١٤].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى قيام الساعة لأن الله تعالى يقول: ﴿بَلِ

السَّاعَةَ مُّوَعَدُهُمْ﴾ [القمر:٤٦].

ويحتمل إلى الأجل الذي قُضِيَ فيه بعذابهم"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، وسببه احتمال الأجل المسمى لوقتتين

مختلفين، فإما أنه وقت قيام الساعة، أو أنه عند انتهاء الوقت المحدد لكل إنسان.

الدراسة:

لم يُسَبَقِ الماوردي في قوله، وذكره عدد من المفسرين بعده كالرازي^(٢) والقرطبي^(٣)

وآخرين^(٤) إما بنفس اللفظ، أو بلفظ آخر يؤدي إلى نفس المعنى مثل: إلى أجل مسمى، أي:

إلى آخر أعمارهم المقدر.

وقد اختلف أهل العلم حول موعد الأجل المسمى، فهل سيكون في الدنيا عند انتهاء

العمر المقدر للإنسان، أم سيكون يوم القيامة؟

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص١٩٨.

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٥٨٨.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص١٢.

(٤) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٥، ص٧٨، والشوكاني، فتح القدير، ج٤،

ص٦٠٦، والألوسي، روح المعاني، ج١٣، ص٢٤، وصديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد

القرآن، ج١٢، ص٢٨٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص٥٧.

وكلا القولين ذكرهما بعض المفسرين؛ حيث وردت آيات أخرى في القرآن الكريم كان الظاهر منها أن المراد من الأجل المسمى هو وقت حلول الموت، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَايَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، فهذه الآية تبين لنا أن الله سبحانه وتعالى يمهل الناس إلى أجل مسمى، وهذا الأجل هو آخر عمرهم المقرر لهم، فإن جاء هذا الأجل فلن يتأخر ساعة أو يتقدم. وبهذا تكون إضافة الماوردي معتبرة وقيّمة.

الترجيح:

كلا القولين تحتلها الآية، فالأجل المسمى يحتمل المعنيين معا، قال الرازي: "الأجل المسمى قد يكون في الدنيا، وقد يكون في القيامة"^(١)، وقال البيضاوي: "إلى أجل مسمى هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدره"^(٢) ويقول ابن عاشور: "المراد بالكلمة ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ إِمְهَالِهِمْ وَتَأْخِيرِ مَوْأَخِذَتِهِمْ إِلَىٰ أَجْلِ لِهِمْ اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ فِي نِظَامِ هَذَا الْعَالَمِ، فَرَبِمَا أَخْرَجَهُمْ ثُمَّ عَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَرَبِمَا أَخْرَجَهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وَكُلٌّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي الْأَجْلِ الْمُسَمًّى"^(٣).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٥٨٨.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ٧٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٥٧.

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

قال الماوردي: قوله عز وجل: "﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد به أداء الزكاة من أموالهم، قاله السدي.

الثاني: إنفاق الحلال من أكسابهم، وهو محتمل^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر احتمالين مختلفين

للفقعة المذكورة في الآية، فالقول الأول جعلها مقيدة بالزكاة، والثاني جعلها مطلقة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي، ولم يتبعه أحد بنفس اللفظ، لكن ذكر عدد من المفسرين قبله^(٢) وبعده^(٣)

أن المراد من النفقة في الآية هو العموم، أي أنها تشمل الزكاة وغيرها من أنواع النفقات، والصدقات،

(١) الماوردي، **النكت والعيون**، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٢) ينظر: الأزدي: **مقاتل بن سليمان بن بشير**، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣ هـ)، ج ٣، ص ٧٧٢، **والسمرقندي**، **بحر العلوم**، ج ٣، ص ٢٤٦، ومكي: أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشخي، (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٨ م) ج ١٠، ص ٦٦٠٣.

(٣) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج ٥، ص ٨١، وابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج ٥، ص ٣٩، والبياضوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج ٥، ص ٨٣، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج ٨، ص ٣٤، والشوكاني، **فتح القدير**، ج ٤، ص ٦٢٠.

وفعل الخير، قال الطبري: "ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته"^(١).

وردّ سيد قطب على الفائلين بأن الآية في الزكاة فقط، فقال: الآية نص مبكر على تحديد فرائض الزكاة، والتي فرضت في السنة الثانية من الهجرة، أما الإنفاق العام في سبيل الله بشكل عام فقد بدأ مع بداية الإسلام^(٢).

وقيل بأن هذه الآية نزلت في الأنصار، إلا أن ابن عطية عَقَّب على هذا القول، فقال بأن الله سبحانه وتعالى مدح في هذه الآية كل من اتصف بهذه الصفة، ولم تحصل هذه الصفة في الأنصار إلا بعد سبق المهاجرين لها، رضي الله عنهم أجمعين^(٣).

الترجيح:

الأولى في الآية هو قول الماوردي، لأنه جاء عامًا، ولم يقيده بالزكاة، وهذا هو الظاهر من الآية، وإذا دار اللفظ بين أن يكون مقيدًا أو مطلقًا، فإنه يحمل على إطلاقه، ما لم يرد دليل على تقييده^(٤).

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٥٢٢.

(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٦٦.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٣٩.

(٤) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ج ١، ص ٥٣٦.

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾" فيه وجهان:

أحدهما: ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرسالة، ولا الإيمان لولا البلوغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، ولا الإيمان لولا هدايتنا لك، وهو

محتمل^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع، لأن القول الثاني من لوازم القول

الأول.

الدراسة:

لم يُستَقَ الماوردي في قوله، وذكره من بعده أبو حيان^(٢).

والمخاطب في الآية الكريمة هو النبي ﷺ، أي: يا محمد، قبل أن ينزل عليك الوحي ماكنت

تدري ما الكتاب، ولا الإيمان، والمراد من الكتاب: القرآن الكريم، ومن الإيمان: شرائع الإيمان

وتفاصيله، لا الإيمان الحقيقي والإقرار بالله، فالنبي ﷺ كان على دين آباءه وأجداده من الإيمان

بالله والعمل به، وكان لا يعبد الأصنام ولا الأوثان، وآبؤه الذين قبله كانوا يؤمنون بالله، ويحجون

البيت، وماتوا على ذلك^(٣).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢١٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٣٥٢.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٧٠.

وما جاء في الآية الكريمة بأنه لم يكن يعلم هذه الأمور، ذكرته آيات أخرى من القرآن

الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

الترجيح:

القولان الواردان صحيحان وتحتملهما الآية، فإضافة الماوردي من لوازم القول الأول، أي:

إنك يا محمد ما كنت تدري ما الكتاب لولا أن أنعمنا عليك بالوحي والرسالة، وما كنت تدري ما الإيمان لولا أن هديناك وعلمناك تفاصيله.

المبحث الثالث: سورة الزخرف

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿أَفَنْصُرُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿أَفَنْصُرُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أفحسبتم أن نصفح، ولمّا تفعلون ما أمرتم به؟ قاله ابن عباس.

الثاني: معناه أنكم تكذبون بالقرآن، ولا نعاقبكم فيه، قاله مجاهد.

الثالث: أي نهملكم فلا نعرفكم بما يجب عليكم، حكاة النقاش.

الرابع: أن نقطع تذكيركم بالقرآن: وإن كذبتكم به: قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أن نوجد ولا نؤاخذ، ونقول فلا نفعل" (١).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢١٦.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه احتمال بعض الألفاظ في الآية

مثل: (الذكر - صفحًا) لأكثر من معنى.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

وبعد النظر في الأقوال السابقة وقراءة بعض أقوال المفسرين تبين لي أن معظم الاختلاف

كان يدور حول لفظ (الذكر) في الآية، حيث ورد هذا اللفظ في عدة مواضع، في بعض منها كان

بصيغة الفعل بتصريفاته المتنوعة، وفي بعض منها كان بصيغة الاسم، وفي كل موضع احتمل

معنى مختلفا بحسب السياق، فمثلا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[الأحزاب: ٤١]، جاء بصيغة فعل الأمر والمصدر أيضًا، وكان المراد منه: الصلوات الخمس، أو

التسبيح، والتحميد، والتكبير، ونحوها^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، جاء بصيغة الاسم وكان المقصود

منه القرآن^(٢). كما أتى أيضًا بمعنى أهل الكتاب، يقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]،

فذكر الطبري أن أهل الذكر هم الذين قرأوا الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل وغير ذلك من الكتب

التي أنزلها الله على عباده^(٣).

(١) السمعاني، تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٩٢.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٦، ص ٢٩-

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ١٤، ص ٢٢٧.

والآية التي نحن بصدد تفسيرها، ذكر فيها المفسرون معانٍ مختلفة أيضًا، فقال بعضهم:

"القرآن . وقال بعضهم: الرسول . وقال بعضهم: العذاب والعقوبة"^(١).

يقول قتادة: "والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه

عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك"^(٢). وقوله يدل على تفسير الذكر بالقرآن.

وقال ابن الجوزي: "في المراد بالذِّكر قولان: أحدهما: العذاب، والثاني: القرآن"^(٣).

واختار الطبري رحمه الله تفسير الذكر في الآية بالعذاب، ثم بين سبب اختياره وهو أن الله

سبحانه وتعالى ذكر في الآيات التي بعدها خبره عن الأمم السابقة، فتكون هذه الآية وعيدا منه

للمخاطبين به من أهل الشرك إذا كذبوا بالرسول كما كذب الذين من قبلهم برسولهم^(٤). أي أنه اختار

هذا القول بناءً على سياق الآية.

واللفظ الآخر الذي اختلف فيه المفسرون في الآية هو (صفحًا)، فقيل: هو العفو

والغفران^(٥)، يقول الراغب الأصفهاني: "وصفحت عنه: أوليته مني صفحة جميلة معرضا عن ذنبه،

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ١٤٦.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٥٤٩.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٧٣.

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٥٤٩.

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٤٦.

أو لقيت صفحته متجافياً عنه"^(١). وقيل: صفحاً بمعنى الإعراض^(٢)، فالعرب تقول لمن أمسك عن الشيء وأعرض عنه: ضرب عنه صفحاً^(٣).

ولو تأملنا إضافة الماوردي، سنرى بأنها قريبة من معنى القول الثالث، أي: أفحسبتم أن نوعدكم بالعذاب ولا نؤاخذكم به، أفحسبتم أن نقول لكم أمراً، ثم لا نفعله؟!

الترجيح:

سياق الآيات السابقة^(٤) لهذه الآية يتحدث عن القرآن الكريم ووصفه، وسياق الآيات اللاحقة^(٥) يبين لنا مصير الأمم السابقة التي كذبت برسالتها، لذلك يكون الأصح في الآية هو حمل المعنى على القولين: القرآن الكريم، والعذاب، لأن توجيه كلام الله إلى ما كان له نظير في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى غيره^(٦)، وبذلك تعد جميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة وتحتملها الآية، لأنها من لوازم القولين المختارين.

(١) الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٤٨٦.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٩، ص١٤٧، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٨، ص٣٢٨، الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص٢١٦، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٤، ص١٥٤.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٨، ص٣٢٨.

(٤) سورة الزخرف، الآيات: ١-٤.

(٥) سورة الزخرف، الآيات: ٦-٨.

(٦) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥، ص١١٧.

المطلب الثاني: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]

الجملة الأولى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي طرقاً.

ويحتمل ثانياً: أي معاش" (١)

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، مردّه أن القول الأول استند إلى التفسير

باللغة، والقول الثاني اعتمد إلى المعنى اللازم لسياق الآية، أو على الآيات القرآنية الأخرى.

الدراسة.

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده: القرطبي (٢) والشوكاني (٣) وصديق حسن

خان (٤).

و معنى السبيل في اللغة: "الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سبل، قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارًا

وَسُبُلًا﴾ [النحل: ١٥]، ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيرا كان أو شرا" (٥).

وقد ورد لفظ السبيل في القرآن الكريم على عدة معان، منها: القدرة والاستطاعة، قال

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قال الطبري بعد أن ذكر عدة

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٦٤.

(٣) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٢٧.

(٤) ينظر: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٢، ص ٣٣٠.

(٥) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩٥.

أقوال: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: إن ذلك على قدر الطاقة؛ لأن السبيل في كلام العرب: الطريق، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج، لا مانع له منه من زمانة أو عجز، .. فعليه فرض الحج، لا يجزيه إلا أداؤه"^(١).

كما ورد لفظ السبيل بمعنى الحجة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، قال الطبري: "يعني: حجة يوم القيامة"^(٢). وبمعنى الملة والمذهب، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال ابن كثير: "طريقته ومسلكه وسنته"^(٣).

فالمأمل للآيات السابقة، والمتتبع لكلمة السبيل في القرآن يرى أن جميع المعاني التي وردت تعود بعد التحقيق والتدقيق إلى المعنى اللغوي الأول وهو الطريق، لكن سياق الآيات المختلفة يضيف معنى جديداً أو مجازياً لها ليفيد معنىً أوسع، وهذا من إعجاز اللغة العربية في القرآن^(٤). وأما تفسير السبيل بالمعاش، فهو قولٌ جديدٌ أضافه الماوردي، ويبدو أنه استند على الآيات الأخرى التي ورد فيها لفظ "المعاش"، مثلاً في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ٦١٦-٦١٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٦٠٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٤) اسلام ويب، (ألفاظ قرآنية)، ٢٠١١١٢١٢٥.

<https://www.islamweb.net/ar/article/173751/>

ومعنى إضافة الماوردي: أن الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معاش الناس من
النبات والثمر وورق الشجر، فهي تعتبر سبل عيش أيضاً.

الترجيح:

القولان الواردان تحتلهما الآية، فالله سبحانه وتعالى جعل في الأرض السبل بمعنى الطرق
الحقيقية للمشى عليها، كما جعل في الأرض السبل بمعنى معاش الناس من الثمار والنبات
وغيرها.

الجملة الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تهتدون في أسفاركم، قاله ابن عيسى.

الثاني: تعرفون نعمة الله عليكم، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل ثالثاً: تهتدون إلى معاشكم" (١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الآية جعلت كلمة (تهتدون)

عامّة دون تخصيص لها، فعبّر كل مفسر عنها بلفظ مختلف.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢١٧.

الدراسة:

ذكر الطبري قبل الماوردي قولاً مقارِباً لهذا القول، فقال: "وسهل لكم فيها طرقاً تتطرقونها لمعايشكم ومتاجرکم..ولتهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البلدان والقرى والأمصار"^(١). وذكر هذا القول من بعد الماوردي السمعاني^(٢) والقرطبي^(٣) والشوكاني^(٤). وهذه الآية مكملة للآية في المثال السابق، فقد ذكر الله تعالى فيها العلة من جعل السبل في الأرض.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، ويمكن الجمع بينها، فأقول: جعل الله السبل في الأرض حتى يهتدي الناس بها في أسفارهم إلى القرى والأمصار والبلدان، وإلى معايشهم من النبات والثمار والأشجار، ليعرفوا نعمة الله عليهم.

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾

[الزخرف:١٢].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الأصناف كلها، قاله سعيد بن جبیر.

الثاني: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٥٥٣.

(٢) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٩٢.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٦٤.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٢٧-٦٢٨.

الثالث: أن الأزواج الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أن الأزواج ما يتقلب فيه الناس من خيرٍ وشر، وإيمان وكفر، وغنى وفقير، وصحة وسقم^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف بين الأقوال المذكورة اختلاف تنوع، وسببه أن كلمة الأزواج من الألفاظ العامة الجامعة التي تشمل كل ما هو زوج، فذكر المفسرون أمثلة مختلفة لهذه الأزواج.

الدراسة:

ذكر الماتريدي قبل الماوردي قولاً مقارباً لإضافته، فقال: "جائز أن يدخل فيما ذكر من خلق الأزواج كلها جميع ما يكون لها أزواج من مقابلات وأشكال؛ إذ التزواج قد يقع ويستعمل في الأضداد والأشكال من الأفعال والجواهر من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية..."^(٢).

وتبع الماوردي في قوله عدد من المفسرين^(٣) إما بنفس العبارة، أو باختلاف بسيط، كما رجح القرطبي^(٤) وصدّيق حسن خان^(٥) قول الماوردي.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ١٥٢.

(٣) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٩٢، والشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٢٨.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٦٥.

(٥) ينظر: صدّيق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٢، ص ٣٣١.

وبعد النظر في الأقوال السابقة تبين أن القول الأول ذهب إلى العموم، والثاني اختص بالكائنات الحية، والثالث بالظواهر الكونية مع ذكر الجنة والنار، وإضافة الماوردي اختصت بالذات الإنسانية وأحوالها.

وقد أجمع عدد من المفسرين^(١) على القول الأول الذي يفيد بأن كلمة الأزواج تشمل الأصناف كلها، حتى قال بعضهم: كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك^(٢).

يقول سيد قطب: الزوجية هي قاعدة الحياة، فكل الأحياء أزواج، بل ربما تكون الزوجية قاعدة الكون كله، إذا نظرنا إلى الذرة المؤلفة من الكترون سالب وبروتون موجب، كما تشير إليه البحوث الطبيعية^(٣).

الترجيح:

جميع الأقوال المذكورة تحتملها الآية، وأولى الأقوال في الصواب هو القول الأول لأنه عام وشامل، كما أنه قول عدد من المفسرين، واختيار الشوكاني رحمه الله^(٤).

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٢٥٢، والشعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٢٩، والقشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٣٦٣، والبغوي، إحياء التراث، ج ٧، ص ٢٠٧، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٤٧.

(٢) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٤١.

(٣) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٨٠.

(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٢٨.

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ

تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

قال الماوردي: قوله تعالى: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كانت جنات وأنهاراً تجري من تحت قصره، قاله قتادة. وقيل من تحت سريه.

الثاني: أنه أراد النيل يجري من تحتي، أي أسفل مني.

الثالث: أن معنى قوله: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ أي القَوَادُ والجبابرة يسرون تحت

لوائِي، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنه أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها وقوله

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ أي أفرقها على من يتبعني، لأن الترغيب والقدرة في الأموال في الأنهار^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف المذكور في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه كلمة (الأنهار) التي عبر

عنها المفسرون بألفاظ مختلفة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(٢) والشوكاني^(٣).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٥٩-٦٠.

(٣) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٤٠.

وقد أجمع عدد من المفسرين^(١) على أن المقصود من الأنهار هنا أنهار النيل، ثم ذكروا أسماءها وهي: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس.

ويظهر لي أنه يمكن الجمع بين القولين الأول والثاني، لأن الأنهار المذكورة في القول الأول عامة، فتدخل أنهار النيل ضمنها كونها من الأنهار.

أما تفسير الأنهار بالقواد والجبابرة كما قال به الضحاك، أو تفسيرها بالأموال كما في إضافة الماوردي، فأعتقد - والله أعلم - أنه من باب التفسير باللائم، لأنه عندما قال فرعون لقومه إن هذه الأنهار تجري من تحتي كان يريد أن يبين للناس أنه يملك كثيرًا من الخير والنعم لدرجة أن هذه الأنهار تجري من تحته، ومن صور كثرة الخير عنده أنه كان يملك كثيرًا من الأموال، وبهذا تعدّ إضافة الماوردي صحيحة ومعتبرة.

الترجيح:

جميع الأقوال التي أوردها الماوردي كانت تدل على قوة فرعون وسيطرته على جميع خيرات البلاد من الأموال والأنهار والثمار، لذا تعدّ جميعها صحيحة، وتحتلها الآية، إلا أن الأولى والأظهر في الآية هو القول بأن المراد من الأنهار في الآية: الأنهار على حقيقتها، وهو ما جاء في القولين الأول والثاني، والقاعدة تقول: يجب حمل كلام الله تعالى على الأغلب المعروف من

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٥٩-٦٠، والشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٤٠، والشعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٣٩، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٥٧، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٥٩، والرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٦٣٧، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٥٠.

لغة العرب دون المجهول^(١)، والمعروف في لغة العرب أن المراد من الأنهار هو ما جاء في القولان الأول والثاني.

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ

بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: ٦٣].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالنبوة، قاله السدي.

الثاني: بعلم ما يؤدي إلى الجميل، ويكف عن القبيح، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أن الحكمة الإنجيل الذي أنزل عليه^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الحكمة كلمة عامة تشمل

أكثر من معنى.

الدراسة:

سبق الماوردي في تفسير الحكمة بالإنجيل الماتريدي^(٣)، ثم تبعه بعد ذلك عدد من

المفسرين^(٤). وبهذا لا تكون إضافته جديدة، لأنه سبق للماتريدي ذكرها.

(١) ينظر: الطيار: مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، (الرياض: دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م)، ص ١٠٥.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٣٦.

(٣) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ١٨٠.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٦٢، وابن الجوزي، زاد المسير

في علم التفسير، ج ٤، ص ٨٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٧٣،

وسبب الاختلاف حول الآية هو احتمال كلمة الحكمة لأكثر من معنى، فقد وردت في

القرآن الكريم في كثير من الآيات، وكان يتغير معناها بحسب السياق الذي وردت فيه.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ذكر الماوردي فيها أن الحكمة تحتل تأويلين: "أحدهما أنها

السنة، والثاني أنها المعرفة بالدين، والفقهاء فيه، والاتباع له"^(١).

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

يَذَكَّرُ إِلَّا الْأُولُو الْأَبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فكان من معاني الحكمة هنا: القرآن والفقهاء به"^(٢).

وفي الآيات التي تحدثت عن لقمان الحكيم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ

فإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢]، كان معناها: "الإصابة في القول والفعل من

غير نبوة، وقيل العلم"^(٣).

=وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٥٣، والشوكاني، فتح القدير،

ج ٤، ص ٦٤٤، والألوسي، روح المعاني، ج ١٣، ص ٩٥.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ١٩٢.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ٨.

(٣) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٨، ص ٣٠١.

أما الآية التي نحن بصدد تفسيرها فبعد النظر في أقوال عدد من المفسرين تبين أن بعضهم فسرها بالإنجيل^(١)، وآخرين فسروها بالنبوة^(٢).

وسبب تفسير بعضهم للحكمة بالنبوة هو أنهم فسروا (البيّنات) الواردة في الآية بالإنجيل، فلم يستطيعوا تفسير الحكمة بالإنجيل أيضًا لعدم تكرار المعنى في الآية.

الترجيح:

الآية التي معنا تحتل المعنيين معا، لأنه لم يرد فيها الإنجيل كما جاء في آيات أخرى، مثل قول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، والقول الثاني بأن الحكمة هي علم ما يؤدي إلى الجميل ويكف عن القبيح يدخل في معنى الإنجيل.

المبحث الرابع: سورة الدخان

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

قال الماوردي: قوله عز وجل: "﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ بالقرآن من النار.

ويحتمل ثانيًا: منذرين بالرسول من الضلال"^(٣)

(١) ينظر: الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣، ص ٨٠٠، والواحي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٩٧٧، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٦٣٦، والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٢٦٣، والثعلبي، الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٤٢، والديوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٢٠، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٦٢.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٤٥.

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر أوجهٍ مختلفةٍ

لمعنى الإنذار.

الدارسة:

سبقَ الماتريدي في القول الذي أضافه الماوردي، فذكر أن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾

يحتمل معنيين، "الأول: إنا كنا منذرين للخلق إذا أنشئوا وبلغوا المبلغ الذي يستوجب الإنذار،

والثاني: إنا كنا منذرين الخلق بالرسول، والظاهر أن هذا القول من الله تعالى^(١).

وبهذا يكون قول الماوردي في هذه الآية لا يعتبر من باب الإضافة، فالماتريدي سبقه في

ذكر هذا المعنى.

وذكر هذا القول من بعد الماوردي: الخطيب، فقال: "قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ إشارة

إلى أن إنذار الناس وتنبههم من غفلتهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب هو مما اقتضته رحمة الله

بعباده"^(٢).

وبعد النظر في أقوال عدد من المفسرين، تبين أن الاختلاف في كيفية الإنذار لم يكن

موضع اهتمامهم إلا بذكرٍ بسيط، فقد ذكر الزمخشري أن هذه الآية والتي تليها وهي قوله تعالى:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤]، "هما جملتان مستأنفتان، فسر بهما جواب القسم في قوله

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ١٩٧.

(٢) الخطيب: عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج ١٣،

ص ١٨٢-١٨٣.

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، كأنه قيل: أنزلنا الكتاب لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا، لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفروق كل أمر حكيم" (١).

الترجيح:

المراد من الإنذار في الآية كل الكلمات والمعاني التي تدل على التخويف والتعذيب، قال الخطيب: "المراد من الإنذار ما تحمله كلمات الله تعالى وآياته من تحذير من عذابه، وتخويف بعقابه، وذلك ليستقيم الناس على الطريق السوي، وليرجعوا إلى الله" (٢). ويدخل في هذا إنذار الرسل للناس من الضلال، إلا أن الأولى في الآية هو حمل المعنى على إنذار الناس بالقرآن، لأن سياق الآيات كان يتحدث عن القرآن الكريم، وتوجيه كلام الله تعالى إلى ما كان له نظيرا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى غيره (٣).

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده، حكاة النقاش.

الثاني: أنه ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عبادته، قاله ابن عيسى.

ويحتمل: ثالثاً: أنه إرسال محمد صلى الله عليه وسلم نبياً" (٤).

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٢) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ١٣، ص ١٨٣.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

(٤) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٤٦.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى احتمال رجوع جملة ﴿أَمْرًا﴾

مِنْ عِنْدِنَا ﴿﴾ إلى أكثر من ضمير.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد في ذلك.

والاختلاف في الآية السابقة يرجع لمحل جملة: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ من حيث الإعراب، وإلى

أي من الآيات السابقة ترجع إليها، فهل هي نصب لقوله تعالى (إنا أنزلناه)، فيرجع معناها إلى القرآن الكريم، أم هي نصب على الاختصاص لقوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم)، فيرجع

معناها إلى ما قضاه الله في هذه الليلة المباركة، أم لها معاني أخرى؟

ذكر الطبري أن أهل العربية اختلفوا في وجه نصب قوله (أمرًا)، فقال بعض نحويي

الكوفة: نصب على إنا أنزلناه أمرًا ورحمة على الحال. وقال بعض نحويي البصرة: نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرًا^(١).

وذكر الزمخشري في قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ "كل شأن ذي حكمة، أي: مفعول على ما

تقتضيه الحكمة، وهو من الإسناد المجازي، لأنَّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة،

ووصف الأمر به مجازاً مِنْ عِنْدِنَا نصب على الاختصاص. جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن

وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعنى بهذا الأمر أمرًا حاصلًا من عندنا،

كائنًا من لدنا، وكما اقتضاء علمنا وتدبيرنا.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ١١.

ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي، ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق، لأنّ معنى الأمر والفرقان واحد، من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه. أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه: إما من ضمير الفاعل، أي: أنزلناه أمرين أمرا. أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل^(١). ولها معاني أخرى ذكرها بعض المفسرين، مثل: "قضاء من عندنا"^(٢)، كما يراد به الأمر الذي هو ضد النهي^(٣).

الترجيح:

ما ذكره الماوردي لم أجد له ذكراً بالنص عند أحد من المفسرين، لكن قال الماتريدي في الآية: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ يحتمل كل أمر محكم متقن^(٤)، وقال ابن كثير: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه^(٥)، ولا شك أن إرسال النبي ﷺ كان أمراً قدره الله تعالى من عنده بإذنه وعلمه، كما أنه كان أمراً محكماً متقناً. لذلك يمكن القول بأن الأمر يحتمل جميع الأقوال التي أوردها الماوردي بما فيها إضافته، فتعتبر جميعها صحيحة وتحتملها الآية.

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص ٢٧١.

(٢) السمرقندي، بحر العلوم، ج٣، ص ٢٦٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص ٢٧١.

(٤) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٩، ص ١٩٧.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص ٢٤٦.

المطلب الثالث: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾، والبطشة الكبرى هي العقوبة

الكبرى، وفيها قولان: أحدهما: القتل بالسيف يوم بدر، قاله ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد والضحاك.

الثاني: عذاب جهنم يوم القيامة، قاله ابن عباس والحسن.

ويحتمل: ثالثاً: أنها قيام الساعة، لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه احتمال جملة ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾

إلى أكثر من معنى.

الدراسة:

لم يُستَقَ الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(٢).

ومعنى البطش هو: الأخذ بالعنف^(٣).

ولمعرفة معنى البطشة الكبرى في الآية، يجب علينا النظر إلى سياق الآيات لأن معناها

مرتبط بما قبلها، ففي الآيات التي تسبقها قال الله تعالى: ﴿فَارْتَبِعْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾

[الدخان: ١٠]، وقد اختلف أهل التأويل في الدخان الوارد في الآية هل هو على التمثيل والمجاز، أم

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٤٨.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٣٤.

(٣) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٦١.

على حقيقته؟ وإن كان على حقيقته، هل وقع ومضى، أم أنه سيأتي يوم القيامة؟ وفي هذا عدة أقوال، أولاً: إن كان الدخان كان على التمثيل والمجاز، فهو كناية عن الجذب لوجوه: إما أن يقال إن الجائع في القحط كان يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة العطش مثل الذي يرى السراب ماءً إذا اشتد به العطش، وهذا حدث عندما اشتد الجوع بكفار قريش مما أدى إلى ضعف أبصارهم. أو يقال: في سنة الجذب تتيبس الأرض، وينقطع النبات، فيرتفع الغبار، ويصعد بالريح، فهذا يشبه الدخان^(١).

ثانياً: أن يكون الدخان على حقيقته، وفي هذا ذكر كثير من المفسرين الأقوال التي وردت في معناه، أذكر منها ما ورد في تفسير ابن عطية، يقول: "اختلف الناس في الدخان الذي أمر الله تعالى بارتقابه، فقالت فرقة^(٢): هو دخان يجيء قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين، وقالت فرقة أخرى^(٣): هو الدخان الذي رآته قريش حين دعا عليهم النبي ﷺ بسبع كسبع يوسف، فكان الرجل يرى من الجذب والجوع دخاناً بينه وبين السماء"^(٤). أي: إما أنه من أشرط الساعة، وسيأتي لاحقاً، أو أنه أتى في زمن النبي ﷺ.

وقد وردت أحاديث في الصحيحين تؤيد القولين، فعلى القول الأول ورد في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات - فذكر - الدخان،

(١) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ١٩٩.

(٢) منهم: علي بن أبي طالب وزيد بن علي وابن عمر وابن عباس والحسن بن أبي الحسن وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) منهم عبد الله بن مسعود وأبو العالية وإبراهيم النخعي رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٦٩.

والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"^(١).

وعلى القول الثاني جاء في صحيح البخاري عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم} [الدخان: ١١] قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله: استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت: {إنكم عائدون} [الدخان: ١٥] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: {يَوْمَ نَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر"^(٢).

وفي صحيح مسلم نفس الرواية إلا أنه جاء فيها أن عبد الله بن مسعود رضي الله رد على القائلين بأن الدخان من أشراط الساعة، فعن مسلم بن صبيح، عن مسروق، قال: جاء إلى عبد الله رجل فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: ١٠] قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان، فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ج ٤، ص ٢٢٢٥، رقم (٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {يغشى الناس هذا عذاب أليم} [الدخان: ١١]، ج ٦، ص ١٣١، رقم (٤٨٢١).

فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم، إنما كان هذا، أن قريشا لما استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم، «دعا عليهم بسنين كسني يوسف»، فأصابهم قحط وجهد، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، وحتى أكلوا العظام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله استغفر الله لمضر، فإنهم قد هلكوا، فقال: «لمضر إنك لجريء» قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل: {إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون} [الدخان: ١٥] قال: فمطروا، فلما أصابتهم الرفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه، قال: فأنزل الله عز وجل: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم} [الدخان: ١١] {يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون} [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر^(١).

إذًا، على القول الأول يكون الدخان من أشرط الساعة، وهو لم يقع إلى الآن. وعلى القول الثاني يكون الدخان هو ما أصاب كفار قريش عندما اشتد بهم الجوع، وهو وقع ومضى. واختار الطبري القول الثاني الذي روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من أن الدخان هو ما أصاب قومه عند دعائه عليهم، هذا إذا كان حديث حذيفة بن اليمان غير صحيح، لأن سنده فيه نظر، أما إذا كان صحيحًا، فكلا الخبرين اللذين روي عن رسول الله ﷺ صحيح، لكن أولى التأويلين في هذا الموضع هو قول ابن مسعود رضي الله عنه^(٢).

ويتبين لنا أن اختياره دقيق وصحيح، فحمل الدخان على المعنيين هو الأصح في الآية، فهناك دخان مضى، وآخر سيأتي يوم القيامة، وكلا القولين وردت فيهما أحاديث صحيحة في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، ج٤، ص٢١٥٦، رقم

(٢٧٩٨).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢، ص١٨-١٩.

البخاري ومسلم، وهما كما نعلم أصح كتب السنة بعد كتاب الله تعالى، لكن الأنسب لسياق الآيات هو ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، فالآيات التي بعد آية الدخان تبين لنا أن المشركين استغاثوا ربهم من الدخان النازل بهم، وعاهدوه أنه إذا كشف عنهم هذا العذاب سيؤمنون به، يقول تعالى: ﴿يُعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١١-١٢]، فكشف الله عنهم العذاب، لكنهم عادوا بعد ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]. هذا كان بإيجاز بيان معنى الدخان في الآية، والذي ذكرناه حتى يتبين لنا المقصود من البطشة الكبرى في الآية، فهل المراد منها: ما حصل يوم بدر؟ أم أنه العذاب الذي سيحل بالمشركين في جهنم؟ أم أنه على قول الماوردي: قيام الساعة.

فالقول بأنه ما حصل يوم بدر من قتل المشركين وغيره، ذكره عدد من الصحابة، منهم: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعدد من التابعين، منهم: مسروق، ومجاهد، وأبو العالية والضحاك^(١).

والقول بأنه العذاب الذي سيحل بالمشركين في جهنم، ذكره بعض أهل التأويل منهم: ابن عباس أيضاً، والحسن، وعكرمة، وقتادة^(٢).

وأما ما ذكره الماوردي بأنه قيام الساعة، فلم أجد له ذكراً عند أهل التأويل أو المفسرين، عدا القرطبي، فقد قام بنقله فقط دون التعقيب عليه.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٢-٢٣.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٧٠.

الترجيح:

من خلال سياق الآيات، وما تم ذكره في معنى الدخان، يكون الأولى في تفسير البطشة الكبرى، هو: قتل المشركين بالسيف يوم بدر، فقد جاء في سياق الآيات اللاحقة: قصة فرعون مع قومه، وكيف أنهم أشركوا بالله ولم يصدقوا دعوة موسى، فعاقبهم الله تعالى، حتى وعدوه أنه إن كشف عنهم العذاب سيؤمنون به، فلما كشف عنهم لم يؤمنوا، فعاقبهم الله مرة أخرى بالغرق^(١)، وهذا يتناسب مع موقف مشركي قريش عندما لم يؤمنوا بالله تعالى، فعاقبهم الله بالدخان، ثم لما عادوا انتقم الله منهم يوم بدر.

ولا يعني بهذا رد القول الثاني، فهو صحيح أيضاً، وذكره بعض أهل العلم، لكن يمكن القول بأن الأنسب لسياق الآيات هو القول الأول، وتوجيه كلام الله تعالى إلى ما كان له نظير لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى غيره^(٢).

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾" فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي أرسلوا معي بني إسرائيل ولا تستعبدوهم، قاله مجاهد.

الثاني: أجيئوا عباد الله خيراً، قاله أبو صالح.

الثالث: أدوا إليّ يا عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله، وهذا محتمل^(٣).

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٣٣.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٤٩.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى اختلاف المتأولين في الشيء المؤدى في هذه الآية، فإما أن يكون المراد منه: بني إسرائيل، أو أن المؤدى هو: الطاعة والإيمان والحقوق.

الدراسة:

ذكر الطبري ومكي قبل الماوردي أن قوماً تأولوا معنى الآية على: أن أدوا إلي يا عباد الله، وعلى هذا التأويل تكون جملة (عباد الله) نصب على النداء^(١)، ثم ذكر قول الماوردي من بعده بنفس اللفظ: الشوكاني^(٢)، وصديق حسن خان^(٣)، وذكر آخرين^(٤) قول الطبري أو أضافوا إليه، كقولهم: أدو إلي يا عباد الله حق الله تعالى من الإيمان، وهو كما أرى قريب من قول الماوردي.

ومعنى (أدوا إلي) أرجعوا إلي، وأعطوا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنِطَارٍ يُؤَدُّهُ

إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنِطَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي: لا يعطه إليك.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٤، ومكي، الهداية إلى بلوغ

النهاية، ج ١٠، ص ٦٧٣٠.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٥٧.

(٣) ينظر: صديق حسان خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٢، ص ٣٩٧.

(٤) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٢٤، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

العزیز، ج ٥، ص ٧٠،

وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٩٠، والرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٦٥٩،

والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٣٤، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥،

ص ١٠١، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٤٠١، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا

الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٦١.

وقد ذكر ابن عطية اختلاف المتأولين في الشيء المؤدى في هذه الآية على قولين: الأول: أن فرعون طلب منهم أن يؤدوا إليه بني إسرائيل، فعباد الله هم بنو إسرائيل، والثاني: أن يؤدوا إليه الطاعة والايان والأعمال، فيكون قوله (عباد الله) منادى مضاف^(١).

وهناك أقوال أخرى قريبة من الأقوال السابقة، مثل قول ابن عباس رضي الله عنهما: "اتبعوني إلى ما أذعوكم إليه من الحق"^(٢)، وقيل: "أدوا إلي سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربي، إني لكم رسول أمين"^(٣).

وما تضمنته الآية الكريمة من أن موسى طلب من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ذكرته آيات أخرى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ [طه:٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنَّ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:١٧].

الترجيح:

الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، فيحتمل أن تكون جملة (عباد الله) مفعولاً، والمراد به: بنو إسرائيل، ويحتمل أن تكون الجملة منادى بحذف حرف النداء أي: يا عباد الله، يقول ابن عطية: "والظاهر من شرع موسى عليه السلام أنه بعث إلى دعاء فرعون إلى الإيمان، وأن يرسل بني إسرائيل، فلما أبى أن يؤمن، ثبتت المكافحة في أن يرسل بني إسرائيل، وفي إرسالهم هو قوله:

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٧٠

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٣٤.

"﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾، أي بني إسرائيل، ويدل عليه قوله بعد ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِلُون﴾

[الدخان: ٢١]"^(١). لكن الأقرب لسياق الآيات هو القول الأول: "أرسلوا معي بني إسرائيل" فهو الأولى

من بين الأقوال الثلاثة.

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]

يقول الماوردي: قوله عز وجل: "﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد.

الثاني: المساكن، قاله أبو عمرو والسدي، لمقام أهلها فيها.

الثالث: مجالس الملوك لقيام الناس فيها.

ويحتمل رابعاً: أنه مرابط الخيل لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوصاف مختلفة للمقام

الكريم في الآية.

النظر في الأقوال:

لم يُسَبِّح الماوردي في القول الذي ذكره، ولم يتبعه فيه أحد.

وهذه الآية وردت في سياق قصة موسى عليه السلام مع قومه، حين أهلك الله تعالى

المشركين منهم بالغرق، فماتوا جميعاً وتركوا خلفهم الجنات والعيون، يقول الله تعالى في الآية التي

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٧٠-٧١.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٥١.

قبلها: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥]، أي: كم ترك فرعون وجنوده كثيراً من البساتين، والعيون الجارية، والمقام الكريم، خلفهم^(١).

فأتى الاختلاف حول المراد من هذا المقام الكريم، وبعد النظر في الأقوال السابقة، في أقوال بعض أهل التفسير، تبين أنهم ذكروا الأقوال الثلاثة الأولى في الآية أو قولين منها دون ترجيح أو رد لأحدها، عدا ابن عطية ذكر أولاً أن الآية فيها قراءتان: فعلى القراءة الأولى^(٢): "مَقَام" بضم الميم، أي موضع إقامة، أراد الموضع الحسان من المساكن وغيرها، وعلى القراءة الثانية^(٣): قراءة جمهور الناس ونافع: "مَقَام" بفتح الميم، أي موضع قيام، والمعنى: المنابر^(٤).

لكن بعد البحث وجدت أن القراءة الثانية التي ذكرها ابن عطية والتي بضم الميم ليست من القراءات المتواترة^(٥)، وحتى محمد بن السميع الذي ذكره ابن عطية قد ورد عنه في كتاب التراجم والطبقات: (لسان الميزان) أن له قراءة منقطعة السند^(٦).

(١) ينظر: أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ٢٠٠٣م)، ج ٥، ص ١٣.

(٢) قراءة: قتادة، ومحمد بن السميع، ونافع في رواية خارجة عنه.

(٣) جمهور القراء، ونافع، وهي القراءة في المصحف العثماني.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٧٢.

(٥) ينظر إلى مبحث "القراءات والقراء والشبهات التي أثبتت في هذا المقام" في كتاب: الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (د.م: مطبعة عيسى الباي الباي الحلبي وشركاه، ط ٣، د.ت)، ج ١، ص ٤١٢-٤٧١.

(٦) ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٥، ص ١٩٣.

الترجيح:

جميع الأقوال التي أوردها الماوردي تحتملها الآية، فهم تركوا خلفهم الجنات، والمنابر، والمسالك، ومجالس الملوك، ومرابط الخيل أيضاً، لكن الأظهر والأقرب لمعنى المقام هو مجموع الأقوال الثلاثة الأولى.

المبحث الخامس: سورة الجاثية

وفيه مطلب واحد

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ

نَاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: اليوم نترككم في النار كما تركتم أمري، قاله الضحاك.

الثاني: اليوم نترككم من الرحمة كما تركتم الطاعة، وهو محتمل.

الثالث: اليوم نترككم من الخير كما تركتمونا من العمل، قاله سعيد بن جبير^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متعددة لكيفية

نسيان أهل النار يوم القيامة.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٦٩.

الدراسة:

لم يُسبقَ الماوردي في قوله، وذكره من بعده السمعاني^(١)، والعز بن عبد السلام^(٢).
والاحتمال الذي ذكره الماوردي قريب من القول الأول، فالمراد من الآية: اليوم نترككم في
العذاب، كما تركتم أمتي وطاعتي، فإن الجزاء من جنس العمل.

وقد ورد مثل هذا التعبير بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

لَهُوَ وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا

بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة أمثلة لكيفية نسيان المشركين يوم القيامة، فجميعها صحيحة، وتحتملها

الآية، ولا يستلزم الترجيح بينها.

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، تفسير

القرآن (اختصار النكت للماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٦م)،

ج ٣، ص ١٨٠.

الفصل الثاني: إضافات الماوردي في سور: (الأحقاف) و(محمد) و(الفتح)

و(الحجرات) و(ق).

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: سورة الأحقاف

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ

كَفَرُوا عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أجل القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الأجل المقدر لكل مخلوق، وهو محتمل^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر احتمالين مختلفين لموعد الأجل

المسمى.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٧١.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره عدد من المفسرين بعده كالقرطبي^(١) والبيضاوي^(٢) وأبي حيان^(٣)، وآخرين^(٤).

وقد تقدم البحث في موعد الأجل المسمى في سورة الشورى آية: ١٤^(٥)، وتم التوصل إلى أن الأجل المسمى في آية سورة الشورى كان يحتمل المعنيين معاً.

وكلا القولين اللذين أوردهما الماوردي جاء ما يؤيدهما من آيات أخرى من القرآن الكريم، فعلى أن المراد منه يوم القيامة قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، فقوله ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ﴾ بعد قوله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يوضح أن معنى الأجل المسمى في الآية التي معنا هو يوم القيامة.

وعلى أنه قد يكون المراد منه: انتهاء الأجل المحدد لكل مخلوق، أو نهاية عمره المقدر له، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، أي سيؤخرهم إلى نهاية أجلهم، فإن جاء أجلهم لن يستطيعوا تقديمه أو تأخيره.

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ١١١.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٤٣١.

(٤) ينظر: العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٨١، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى

مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٧٧، والألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٣،

ص ١٦٣، وصديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ٩.

(٥) ينظر إلى الفصل الأول من البحث ص ٤١.

وفي الآية التي معنا فقد ذكر بعض المفسرين أن الأنسب لسياق هذه الآية هو القول الأول لأنه ورد فيها قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾، فما أُنذروه من الطامة والأهوال العامة كان يوم القيامة، لا في آخر أعمارهم المقدر^(١).

الترجيح:

معنى الأجل المسمى يحتمل المعنيين معاً، لكن الأولى في الآية التي معنا هو القول الأول لأنه جاء في سياق الآية ذكر يوم القيامة وأهواله، وحملاً كلام الله تعالى لما كان له نظير في سياق الآية أولى من حمّله على غيره، كما اختار القول الأول أبو السعود^(٢)، وصديق حسن خان^(٣).

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ

شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنِّي بِكُتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ آثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿أَوْ آثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قرأ الحسن وطائفة معه {أَوْ آثَرَةٍ}

وفي تأويل {أَوْ آثَرَةٍ} وهي قراءة الجمهور ثلاثة أوجه:

أحدها: رواية من علم، قاله يحيى.

الثاني: بقية، قاله أبو بكر بن عياش، ومنه قول الشاعر:

(وذات أثاره أكلت عليها ... نباتاً في أكمته قفارا) أي بقية من شحم.

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٧٧، والألوسي، روح

المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٣، ص ١٦٣.

(٢) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٧٧.

(٣) ينظر: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ٩.

الثالث: أو علم تأثرونه عن غيركم، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أو اجتهاد بعلم، لأن أثارة العلم الاجتهاد.

ويحتمل خامساً: أو مناظرة بعلم لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني متقاربة لقوله:

﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِّنْ عِلْمٍ﴾، كما أن الآية فيها قراءتان مختلفتان نتج منها اختلاف في المعاني.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في الأقوال التي ذكرها، ومن تبعه فيها الإمام أبو السعود بذكر الاحتمال

الثاني فقط، فقال: " وَقُرِئَ إِثَارَةٌ بِكسْرِ الهمزة أي مناظرة فإنها تثير المعاني"^(٢).

وقد فسّر الإمام الماوردي الآية بناءً على القراءتين التي ذكرت فيهما، فالأقوال التي ذكرها

كانت على قراءة الجمهور: (أو أثارة من علم).

ثم قال: "ومن قرأ {أَوْ أَثَرَةٌ مِّنْ عِلْمٍ} ففي تأويله خمسة أوجه:

أحدها: أنه الخط، وقد رواه ابن عباس عن النبي ﷺ.

الثاني: ميراث من علم، قاله عكرمة.

الثالث: خاصة من علم، قاله قتادة.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٧١.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٧٨.

الرابع: أو ببقية من علم، قاله عطية.

الخامس: أثره يستخرجه فيثيره، قاله الحسن^(١).

وقال الطبري عن القراءة الأولى: {أو أثارة}، هي قراءة عامة قراء الحجاز والعراق بالألف،

بمعنى: أو اثتوني ببقية من علم، ثم رجح الطبري هذه القراءة لإجماع الأمصار عليها^(٢).

وهناك قراءة أخرى لعلي عليه السلام، وأبي عبد الرحمن السلمي^(٣): "أو أثره"، بسكون

الثاء، فالأثرة والأثارة التي على القراءة الأولى يراد بها: البقية، وما يؤثر، أما الأثرة بالسكون ففي

أبلغ في المعنى، وذلك لأنها الفعلة الواحدة من الأصل، فهي كما يقال: اثتوني بخبر واحد، أو

حكاية شاذة^(٤).

وقد وردت بعض الآثار في الآية، فعن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم،

فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم

يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما

قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة

لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٧١.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ١١٢.

(٣) أبو عبد الرحمن السلمين عبد الله بن حبيب، مقرئ الكوفة، من أولاد الصحابة، قرأ القرآن وجوده، وأخذ القراءة عرضا عن: عثمان وعلي، وزيد، وابن مسعود، وكان يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة. ينظر إلى باقي ترجمته في: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٥م)، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٤) ينظر: ابن جني: أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (د.م:

وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، ١٩٩٩م)، ج ٢، ص ٢٦٤.

الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنبهم - قال ابن الصباح: فلا يصدنبكم - " قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»^(١).

والمراد من هذا الحديث: أن العلماء اختلفوا في معنى الخط في الحديث، لأنه ظاهره يدل على إباحة علم الخط، لكن نحن الآن لا طريق لنا للوصول إلى العلم اليقيني بالموافقة، إذا هو حرام، ولا يباح، وإنما قال النبي ﷺ بذلك ولم يقل هو حرام حتى لا يظن أحد أن هذا النص يشمل النبي الذي كان يستخدم علم الخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذلك النبي مع بيان الحكم في حقنا^(٢).

إذا، ليس المقصود من الحديث هنا إباحة علم الخط، إنما المنع أو الزجر. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "المراد بالأثارة: الخط في التراب، وذلك شيء كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر، وهذا من البقية والأثر"^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحتها، ج٤، ص١٧٤٩، رقم (٥٣٧).

(٢) شرح الحديث السابق لمحمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٤٩.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥، ص٩٢.

وهناك معاني أخرى وردت في معنى الأثارة من العلم، فقال ابن عباس رضي الله عنه:
"بينة من الأمر"^(١)، وقال الزجاج: "أثارة على معنى علامة من علم"^(٢). وقال محمد بن كعب
القرظي^(٣): معناها: "الإسناد، وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية"^(٤).
وجمع الواحدي بين جميع الأقوال فقال بأن كلام أهل اللغة في الأثر يدور على ثلاثة
أقوال، الأول: البقية واشتقاقها، الثاني: الرواية، والثالث: العلامة^(٥).

الترجيح:

بعد ذكر الأقوال السابقة يتبين لنا أن أولى الأقوال هو: أن معنى (أثارة من علم): بقية من
علم، فهو أولاً: الظاهر من كلام العرب، وحمل الكلام على ظاهره أولى من صرفه إلى غيره، ثانياً:
هو أعم وأشمل الأقوال، فالبقية من العلم يدخل فيها علم الخط، وعلم ما جاء في كتب الأولين،
ويدخل فيها أيضاً بقية الأولى التي أوردها الماوردي، ثالثاً: هو اختيار إمام المفسرين الطبري رحمه
الله، حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، لأن ذلك

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ١١٥.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٤٣٨.

(٣) محدث من التابعين، اسمه: محمد بن كعب بن حيان بن سليم، حدث عن كبار الصحابة منهم أبو
هريرة وابن عباس، وروى عن أبي ذر وعلي وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً، كان من أوعية العلم، قيل عنه: كان
ثقة، عالماً، كثير الحديث، ورعاً، عالماً بالقرآن ومن أئمة التفسير، كما قيل عنه بأنه كان مجاب الدعوة، كبير
القدر. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٦٨.

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٩، ص ٦.

(٥) *نسبه الرازي إلى الواحدي، لكن لم أجده في تفسير الواحدي. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨،

هو المعروف من كلام العرب، وإذا وجَّه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علم استثير من كتب الأولين، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به^(١).

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيما لم نمكنكم فيه، قاله ابن عباس.

الثاني: فيما مكناكم فيه وإن هنا صلة زائدة.

ويحتمل ثالثاً: وهو أن تكون ثابتة غير زائدة ويكون جوابها مضمراً محذوفاً ويكون تقديره:

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى اختلاف المفسرين حول حرف

(إن) في الآية، فعده بعضهم نفيًا، وعده قومٌ حرف صلة زائدة، ووضعه آخرون بمعنى الذي، أما

الماوردي فعده حرفاً ثابتاً، وله جواب محذوف.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ١١٥-١١٦.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٨٤-٢٨٥.

الدراسة:

لم يُستَقَ الماوردي في قوله، وذكره عدد من المفسرين بعده كالسمعاني^(١) وابن عطية^(٢) وآخرين^(٣)، إما بنفس اللفظ، أو باختلاف بسيط.

وعلى القول الأول يكون المراد من الآية: لقد مكنا لقوم عاد فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعظكم، فأعطيناهم كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدة الأبدان، فوضعت (لم) موضع (إن) فأصبحت (إن) نافية، وقال بهذا القول ابن عباس رضي الله عنه وقتادة^(٤). وقال الزجاج بالنفي أيضًا، فهو جعل (ما) في الآية بمعنى (الذي)، و(إن) نافية وقعت في مكان (ما) وذلك حتى يختلف اللفظ^(٥).

وجعلها الزمخشري نافية أيضًا، دون إضافة (لم) فقال: "(إن) نافية، أي: فيما ما مكناكم فيه، إلا أن (إن) أحسن في اللفظ، لما فيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في «مهما»: «ماما» لبشاعة التكرير: قلبوا الألف هاء^٦».

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٦١.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٠٣.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٠٨، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٤٤٧، والثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ)، ج ٥، ص ٢٢٣، والشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ج ٧، ص ٢٣٣.

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ١٣١.

(٥) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٤٤٦، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

العزيز، ج ٥، ص ١٠٣.

^٦ الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٣٠٨.

ومن قال بالقول الثاني: بأن حرف (إن) صلة زائدة، يكون تقدير الآية: "ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه، من ذكر السمع والبصر والفؤاد، ثم هم لم يملكوا دفع العذاب عن أنفسهم، وأنتم أيضًا لا تستطيعون دفعه عن أنفسكم"^(١).

أما ما ذكره الماوردي بأن الحرف هنا ثابت غير زائد، وجوابه محذوف، يكون تقدير الآية عليه: ولقد مكناكم في الذي إن مكنتم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد.

وقد رد بعض المفسرين على هذا القول، فقال ابن عطية: وهذا تنطع في التأويل"^(٢) أي تكلف فيه، وقال أبو السعود: "وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام"^(٣)

الترجيح:

أولى الأقوال في الآية هو القول الأول المنسوب لابن عباس رضي الله عنه، والذي يدل على (إن) في الآية بمعنى (لم) النافية، فقد وردت آيات أخرى في القرآن الكريم تبين أن الأمم السابقة كانوا أحسن وأشد وأكثرت قوة من قريش، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا﴾ [مريم: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]^(٤)، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٢٥٤.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٠٣.

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٨٧.

(٤) المرجع السابق، ج ٨، ص ٨٦.

غيره من الأقوال^(١)، كما أن هذا القول قال به عدد من المفسرين^(٢)، وسبب اختيارهم لهذا القول هو أن القرآن قد دل عليه في مواضع أخرى، كما أنه أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث والاعتبار .

يقول الإمام الشنقيطي: حمل (إن) على الشرطية أو الزائدة، وجهان لا تظهر صحة واحد منهما، لأن الأول فيه حذف وتقدير، والثاني فيه زيادة كلمة، وكل هذا لا يصار إليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، أما الوجه الثالث بأنها نافية بعد ما الموصولة فهو الصواب إن شاء الله، لأن الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من كتابه ما يدل على أن الأمم الماضية كانت أشد من قريش بطشا وقوة، وأكثر منهم عدداً، وأموالاً، وأولاداً، فلما كذبوا بالرسول أهلکهم الله تعالى^(٣).

المبحث الثاني: سورة محمد

وفيها أربعة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الباطل الشيطان، قاله مجاهد.

(١) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ١٣١، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٨، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٣٠٨، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٠٣، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٤٤٧، وأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ٨٦.

(٣) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٧، ص ٢٣٣-٢٣٤.

الثاني: إبليس، قاله قتادة، وسُمِّي بالباطل لأنه يدعو إلى الباطل.

ويحتمل ثالثاً: أنه الهوى^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الباطل لفظ جامع يشمل كل

ما هو خلاف للحق، فجاءت أقوال المفسرين تذكر أمثلة عليه.

الدراسة:

الإضافة التي ذكرها الماوردي سبقه فيها الماتريدي، فقال: "يحتمل الباطل الشيطان أو هوى

النفس أو كل باطل"^(٢)، ولم يتبعه فيها أحد بلفظه، إلا أن معظم الأقوال تدل على أن الباطل كل

ما هو خلاف للحق، فيدخل فيها قول الماوردي.

وقد تقدم بيان معنى الباطل والآيات التي وردت فيه في الفصل الأول من البحث

بالتفصيل^(٣)، وتم التوصل إلى أن للباطل معاني كثيرة، والضابط الذي يحدد معناه في الآية هو

السياق القرآني، أو أقوال أهل السلف، أو أنه يأتي عاماً ويشمل جميع الأقوال الواردة.

وفي الآية التي معنا، ذكر المفسرون عدة معاني للباطل، معظمها ذُكرت في الأقوال التي

أوردها الماوردي، وهناك بعض المعاني الأخرى، منها أن الباطل هو: الشرك^(٤)، أو يقصد به:

الظنون، والأوهام، والمكائد والخدع، وكل الأفعال التي لا هدف من ورائها^(٥).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص٢٩٢.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٩، ص٢٦٣.

(٣) ينظر إلى الفصل الأول من البحث ص٣٢.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٣٦.

(٥) ينظر: الشيرازي: ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، (بيروت: مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات، ط١، ٢٠١٣م)، ج٢٤، ص١٥.

الترجيح:

الباطل من الألفاظ الجامعة، ولا يمكن حمله على معنى خاص، لأنه لا يجوز تخصيص معنى معين لأية ظاهرها عام إلا بحجة يجب التسليم لها^(١)، كما أن اللفظ إذا احتمل عدة معانٍ ولم يتمتع إرادة المجموع حمل عليها^(٢)، لذلك تعدّ جميع الأقوال الواردة صحيحة، وتحتملها الآية، وإن كانت هناك أقوال أخرى تؤدي إلى نفس المعنى، ولم تُذكر هنا، فيمكن حمل الآية عليها أيضًا.

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: عَرَفَهَا بوصفها على ما يشوق إليها، حكاة ابن عيسى.

الثاني: عَرَفَهُم ما لهم فيها من الكرامة، قاله مقاتل.

الثالث: معنى عَرَفَهَا أي طيبها بأنواع الملاذ، مأخوذ من العرف وهي الرائحة الطيبة،

قاله بعض أهل اللغة.

الرابع: عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يسألون عنها، قاله مجاهد. قال الحسن: وصف

الجنة لهم في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ويحتمل خامساً: أنه عَرَفَ أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها"^(٣).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٢) ينظر: السبتي، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٩٤-٢٩٥.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى أن مجموع الأقوال: الأول والثاني والرابع ذُكر فيها أن المعرفة ستكون لأهل الجنة، والقول الثاني استند إلى معناها باللغة، أما قول الماوردي فكان خاصًا بأهل السماء.

الدارسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(١)، وصديق حسن خان^(٢).

وقد ذكر الطبري في تفسير الآية ما يقارب معنى القول الرابع من الأقوال السابقة، فقال: عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل إذا دخل منزله في الجنة كأنه يدخل منزله في الدنيا، لا يُشكّل عليه ذلك^(٣)، وجاء فيما يدل على هذا المعنى حديث للنبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «... فالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(٤).

وقد وردت أقوال أخرى في تفسير الآية، منها: "عرفها لهم أي: وفّقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة"^(٥)، وقيل: "عرفها لهم، أي: بتعريف الأعمال الموصلة إليها، والتوفيق لهم إليها في الدنيا أيضًا، وبالتبصير بالمنازل في الآخرة"^(٦)، وخير من جمع بين الأقوال السعدي فقال: عرفها لهم أولاً بأن شوقهم

(١) ينظر "القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٣١.

(٢) صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ٥٤.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ج ٨، ١١١، رقم (٦٥٣٥).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٣١.

(٦) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار

الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج ١٨، ص ٢٠٨.

إليها ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها والتي من ضمنها القتل في سبيل الله، ثم بعد ذلك إذا دخلوا الجنة عرفوا منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم الدائم^(١).

الترجيح:

أولى الأقوال في الآية هو قول الطبري، والذي كان مقاربا لمعنى القول الرابع، فقد ورد في معناه حديثٌ للنبي ﷺ، والقاعدة تقول: إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٢)، كما أن هذا القول ذكره عدد من السلف منهم قتادة ومقاتل والفراء، وهو قول عدد من المفسرين، ويمكن الأخذ بالأقوال الأخرى أيضاً فهي صحيحة وتحتلها الآية. أما إضافة الماوردي فإننا لو نظرنا إلى سياق الآية سنجد أن الآية كانت موجهة للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله حيث بينت لهم جزاءهم يوم القيامة، لذلك يُسْتَبَعَدُ القول بأن الكلام كان موجهاً لأهل السماء - والله أعلم-.

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

قال الماوردي: " ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ في الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل:

أحدها: زادهم علماً، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: علموا ما سمعوا، وعلموا بما عملوا، قاله الضحاك.

الثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم، قاله الكلبي.

الرابع: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان.

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٨٤.

(٢) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤،

<https://tinyurl.com/y6qoufcy>

ويحتمل خامساً: والذين اهدوا بالحق زادهم هدى للحق^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متعددة

لزيادة الهدى بمعانٍ متقاربة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القشيري^(٢) باختلاف بسيط.

والمراد من الآية: "الذين أرادوا الهداية وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبتهم

عليها وزادهم منها"^(٣)، فجاء اختلاف المفسرين حول هذه الزيادة في الهدى.

والذي توصلنا إليه أن جميع الأقوال في الآية متقاربة، إلا أنه هناك اختلاف بسيط بينهم،

وذلك بسبب الاختلاف الوارد في الهدى الذي اهدوا به، فإن كان المقصود منه أن استهزاء المنافقين

بالمؤمنين زاد المؤمنين هدى، أو أن القرآن، وكلام النبي ﷺ زادهم هدى، فعندها تكون زيادة الهدى

هنا: بالبصيرة في دينهم والتصديق لنبيهم، وانشراح صدورهم للإيمان. وإن كان المقصود منه أن

الناسخ والمنسوخ زادهم هدى، فعندها تكون زيادة الهدى هنا بالعلم، أو بالحق على قول الماوردي.

كما يمكن الجمع بين الأقوال، فمثلاً: قد يكون معرفة المؤمنين بالناسخ والمنسوخ زادهم

بصيرة في دينهم، وقد يكون كلام النبي ﷺ زادهم علماً في دينهم.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٢) ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٣١٥.

وقال الشوكاني بعد أن ذَكَرَ الأقوال الواردة في زيادة الهدى: "والمراد من الآية أن الله زادهم

إيماناً وعلماً وبصيرة في الدين".^(١)

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة وتحتملها الآية، وإضافة الماوردي معتبرة

وقبّمة، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال، فأقول: زاد الله سبحانه وتعالى المؤمنين إيماناً، وتصديقاً،

وبياناً، وعلماً، ورشدًا، وحقًا في دينهم.

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا

الْقِتَالُ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ في السورة المحكمة قولان:

أحدهما: أنها التي يذكر فيها الحلال والحرام، قاله ابن زياد النقاش.

الثاني: أنها التي يذكر فيها القتال، وهي أشد القرآن على المنافقين، قاله قتادة.

ويحتمل: ثالثاً: أنها التي تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ، ولم يختلف فيها تأويل"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف بين الأقوال الواردة في تأويل السورة المحكمة اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر

معاني مختلفة للسورة المحكمة في الآية.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٤٢-٤٣.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠١.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكر عدد من المفسرين بعده كابن عطية^(١) وابن الجوزي^(٢) وآخرين^(٣) الجزء الأول من قوله باختلافات بسيطة، والذي هو: أن السورة تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ، إلا أن جميعهم جعل الأمر عاماً على السورة بأكملها، فقالوا محكمة، أي: لا يقع فيها نسخ، أو سورة لم تنسخ، وغير ذلك، أما الماوردي فقد خصص الأمر، فقال: بأنها التي تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة وتحتملها الآية، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال كما فعل الشنقيطي، فقال: بأن سورة محكمة، أي: متقنة في الألفاظ والمعاني وواضحة الدلالة، وذكر فيها وجوب قتال الكفار، كما أنها لا تحتوي على نسخ^(٤). والقاعدة تقول بأن اللفظ إذا احتمل عدة معاني ولم يمنع إرادة المجموع حمل عليها^(٥).

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١١٩.

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ٥٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٤٣،

والشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٤٥.

(٤) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٧، ص ٢٥٥.

(٥) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

المبحث الثالث: سورة الفتح

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليغفر لك الله استكمالاً لنعمه عندك.

الثاني: يصبرك على أذى قومك. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم قبل الفتح، وما تأخر بعد الفتح.

الثاني: ما تقدم قبل النبوة، وما تأخر بعد النبوة.

الثالث: ما وقع، وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور إذا كان.

ويحتمل رابعاً: ما تقدم قبل نزول هذه الآية، وما تأخر بعدها^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر عدة احتمالات مختلفة

في المغفور لما تقدم وما تأخر لنبيينا محمد عليه الصلاة والسلام.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(٢).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣١٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٦٣.

وتعدّ إضافة الماوردي قريبة من القول الأول، فأكثر المفسرين على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية، والآيات الأولى من سورة الفتح نزلت بينما كان الجميع في حالة حزن وكآبة، وذلك عند عودتهم من صلح الحديبية^(١)، فعن قتادة، أن أنس بن مالك، حدثهم، قال: لما نزلت: {إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله} [الفتح: ٢] إلى قوله {فوزا عظيما} [النساء: ٧٣] مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدى بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا»^(٢). وبهذا يكون قول الماوردي بأن المراد من: (ما تقدم - وما تأخر) قبل نزول الآية وما تأخر بعدها، هو كمن قال بأن المراد من الآية: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعده.

الترجيح:

الأولى في الآية هو الجمع بين الأقوال كلها، فالله سبحانه وتعالى غفر لنبيه عليه الصلاة والسلام جميع ذنوبه، وكما قال قتادة: المراد من الآية: جميع ما فرط منك^(٣)، واللفظ إذا احتمل عدة معانٍ ولم يمنع إرادة المجموع حُمِلَ عليها^(٤).
ويؤيد ما ذكرته: الحديث الذي جاء في صحيح البخاري فعن زياد، قال: سمعت المغيرة رضي الله عنه، يقول: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال

(١) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م) ص ٣٩٨.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج ٣، ص ١٤١٣، رقم (١٧٨٦).

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٣٣٣.

(٤) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧،

له فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا»^(١). والقاعدة تقول: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٢).

ويُرَدُّ على من ينكر هذا الحديث أو هذا القول بحجة أن هناك آيات نزلت بعد هذه السورة تطلب من النبي ﷺ طلب الاستغفار له وللمؤمنين، فيقال له: الاستغفار ليس مقتصرًا على طلب العفو من الذنوب، فله فوائد أخرى، منها: أنه طلب لنزول المطر، أو لكثرة المال والولد، أو لدفع الهموم وتفريج الكرب، قال الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١].

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

[الفتح: ٢٣].

قال الماوردي: "وفي قوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وجهان:

أحدهما: ولن تتغير سنة الله وعادته في نصرك على أعدائك وأعدائه.

الثاني: لن تجد لعادة الله في نصر رسله مانعاً من الظفر بأعدائه وهو محتمل^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، ج ٢، ص ٥٠، رقم (١١٣٠).

(٢) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤،

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣١٨.

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين اختلاف تنوع، وسببه أن القول الثاني أضاف احتمالاً جديداً للآية، فنصر الله سبحانه وتعالى واقع لا محالة، لكن هذا لا يمنع من انتصار الباطل على الحق في بعض الأحيان بشكل مؤقت.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد بنفس اللفظ، إلا أن سيد قطب، وابن عاشور، ذكرا المراد من قوله، وسنبيهما في الدراسة.

وفي هذه الآية الكريمة يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن السنة الدائمة في الحياة هي الغلبة والنصرة لأوليائه، والقهر والهزيمة لأعدائه^(١)، وقال بعضهم: هذه الآية إشارة إلى وقعة بدر، لأن المسلمين انتصروا فيها، بالرغم من قلة عددهم، وقال آخرون: هي إشارة إلى عادة الله من نصر الأنبياء قديماً^(٢).

وما أضافه الماوردي هو قول جديد وقيم في الآية، والمراد من قوله أن الأعداء قد ينتصرون في بعض الأحيان، وقد أوضح سيد قطب معنى إضافة الماوردي، فنذكر أن سنة الله الدائمة والجارية في الوجود هي النصر لأوليائه، والهزيمة لأعدائه، لكن هذه السنة قد تتأخر أحياناً إلى أجل، وسبب هذا التأخير يرجع إلى عدم استواء المؤمنين على طريقهم واستقامتهم، أو عدم تهيئتهم للجو الذي

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣١٨.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٣٥.

سيولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين، أو عدم استجابتهم لأوامر الرسول ﷺ كما حدث في غزوة أحد في بداية المعركة^(١).

ويقول ابن عاشور: "إنما يكون كمال النصر على حسب ضرورة المؤمنين، وعلى حسب الإيمان والتقوى، ولذلك كان هذا الوعد غالبا للرسول ومن معه فيكون النصر تاما في حالة الخطر كما كان يوم بدر، ويكون سجالا في حالة السعة كما في وقعة أحد ... كما كان يوم بدر، وكما حدث في وقعة أحد، ويكون أيضا لمن بعد الرسول ﷺ من جيوش المسلمين على حسب تمسكهم بوصايا رسول الله ﷺ"^٢.

والمنتبغ لآيات القرآن الكريم سيجد أن الصراع بين الحق والباطل من سنة الله في الحياة، فلا يمكن أن يسود الحياة خير مطلق ولا شر مطلق، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد:١٧]، وقال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف:٥٦]، ويقول ابن عاشور: "المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جبل عليها النظام البشري"^(٣)، وقد وجدت هذه السنة لابتلاء واختبار الناس، فمن وقف في جانب الحق مدافعا عنه فقد فاز، ومن وقف في جانب الباطل ودافع عنه فقد خسر.

إذا، بعد ذكر الكلام السابق يتبين أن الحق هو المنتصر في النهاية، وأن الباطل وإن حقق انتصارات فهي انتصارات واهية ومؤقتة، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٢٧.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٩٢.

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿[الأنفال: ٨]﴾، وقال تعالى: ﴿وَيُمِخُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤]، كما
قص علينا القرآن الكريم كثيراً من القصص التي تبين أن العاقبة للحق مهما تطاول الباطل، ومن
ذلك: الصراع الذي حدث بين موسى عليه السلام وفرعون الطاغية، فقد عبر القرآن عن نتيجة هذا
الصراع في أكثر من آية وبأساليب متنوعة، مقررًا حقيقة انتصار موسى على فرعون، ومن ذلك
قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَاتَّقَلَبُوا صَاحِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩]^(١).

الترجيح:

قول الماوردي معناه صحيح، لكن الأصح في الآية هو القول الأول، لأنه وكما ذكر سابقًا،
أن الحق هو المنتصر في النهاية، وما تقابل الحق والباطل، إلا رفع الله الحق، ووضع الباطل،
فتلك هي سنة الله الدائمة.

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

[الفتح: ٢٦].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني

قريشاً. وفي حمية الجاهلية قولان:

(١) ينظر إلى مقالة بعنوان: "القرآن وصراع الحق والباطل"، تاريخ النشر: ٢٠١١.١١.١١،

<https://tinyurl.com/y3mraax8>

أحدهما: العصبية لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، والأنفة من أن يعبدوا غيرها،
قاله ابن بحر .

الثاني: أنفتهم من الإقرار له بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم على عادته في
الفتحة، ومنعهم له من دخول مكة، قال الزهري .

ويحتمل ثالثاً: هو الاقتداء بأبائهم، وألا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم طاعة كما
أخبر الله عنهم {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣] (١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر أمثلة متعددة لحمية
الجاهلية .

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد في ذلك .
والإضافة التي ذكرها تعتبر جديدة وقيمة، إذ نعلم جميعاً أن الاقتداء بالأباء والأجداد،
وعدم مخالفة العادات والتقاليد كانت من أهم الأمور التي تمسكت بها قبيلة قريش .
وقد ذكر عدد من المفسرين (٢) القول الثاني، لكن بعبارات مختلفة، فجاء في تفسير الطبري
أن سهيل بن عمرو جعل في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة التي كانت بين

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٢٠-٣٢١ .

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣١٩، والقشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٤٣٠،
والسمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٠٥، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٣٦،
والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

رسول الله والمشركون: بسم الله الرحمن الرحيم، أو محمد رسول الله، ثم امتنع هو وقومه من دخول الرسول ﷺ في مكة نفس العام على أن يرجعوا العام المقبل^(١).

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة، وتحتملها الآية، ويمكن الجمع بينها فأقول: الذي دفعهم إلى الامتناع عن كتابة البسمة أو اسم الرسول ﷺ هو العصبية لآلهتهم التي كانوا يعبدونها والافتداء بأبائهم وأجدادهم، مع الحرص على عدم مخالفة طاعاتهم وعاداتهم.

المبحث الرابع: سورة الحجرات

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الحجرات:٤].

قال الماوردي: "قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون، فعبر عن العلم بالعقل لأنه من نتائجه، قاله ابن بحر.

الثاني: لا يعقلون أفعال العقلاء لتهورهم وقلة أناتهم، وهو محتمل^(٢).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوجه متعددة للعلم في

الآية.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢، ص٢٥١.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص٣٢٨.

الدراسة:

لم يُستَقَ الماوردي ولم يتبعه أحد في هذا القول بلفظه، لكن ذكر عدد من المفسرين قبله وبعده^(١) بأن المراد من أنهم لا يعقلون، هو أن الله سبحانه وتعالى وصفهم بالجهل وقلة العقل بسبب ما فعلوه.

وذكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات^(٢)، فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالجهل وقلة العقل لأنهم نادوه بطريقة غير لائقة، فهم لم يتأدبوا مع رسول الله ﷺ ولم يعرفوا قدره ومكانته. وقيل: إنهم نادوه من وراء الحجرات لأنهم لم يعلموا أي حجر هو للرسول ﷺ^(٣).

ويرى ابن عاشور أن المراد من العقل الذي نفى الله عنهم، هو: عقل التأدب الواجب في معاملة النبي ﷺ، أو عقل التأدب المفعول عنه في عاداتهم الجاهلية كالجفاء والغلظة، لا نفى العقل على حقيقته^(٤).

الترجيح:

القولان الواردان صحيحان وتحتملهما الآية، فالعقل من نتائج العلم كما جاء في القول الأول، لكن الأولى في الآية هو الأخذ بظاهرها والأخذ بالقول الثاني، لأنه وردت آيات أخرى في

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٨٥، والبيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٥٥، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ١١٨، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٩٩.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٨٤، و

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٤٥.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٢٥.

القرآن الكريم تتحدث عن فئة معينة من الناس أنهم كانوا لا يعلمون، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، فلو كان المراد في هذه الآية نفي العلم لذكره الله في الآية، لكن عبر عنهم بنفي العقل أو قلته، بسبب ما فعلوه، فهو الظاهر من معنى الآية، والمناسب لسياقها، وحمل كلام الله تعالى لما كان له نظير في سياق الآيات، أولى من حمله على غيره^(١).

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسْتَوْقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال الماوردي: "في هذه السخرية المنهي عنها قولان:

أحدهما: أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله، قاله مجاهد.

الثاني: أنه استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة"^(٢).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٣٢.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر أمثلة مختلفة للسخرية

المنهي عنها في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي أحد، وذكره من بعده السمعاني^(١).

وقد ذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى متقاربة من الأقوال السابقة، أو مؤدية إلى نفس

المعنى، فذكر الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في السخرية المنهي عنها، فقال بعضهم: هي سخرية

الغني من الفقير، وقال آخرون: هي نهْي من الله لمن ستر عليهم من أهل الإيمان أن يسخرُوا ممَّن

كشف عنهم، ثم كان الرأي الصواب عند الطبري أن يقال: جعل الله هذا النهي عاما لجميع معاني

السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ارتكبه، ولا لغير ذلك^(٢).

وذكر ابن عطية أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية لأنهم لم يلتزموا

بأوامر ونواهي الله تعالى، وكانوا يجرون أنفسهم مع الشهوات، فيسطون ويهمزون وينبزون بالألقاب،

حتى نزلت هذه الآية تأديباً لهم ولأمة محمد ﷺ، ثم قال: والقوي أن هذه الآية نزلت تقويماً كسائر

أمر الشرع^(٣).

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية على عدة أقاويل، منها: نزلت في ثابت

ابن قيس، وكان في أذنه ثقل، فكان يدنو من رسول الله ﷺ حتى يسمع حديثه، وعندما جاء في يوم

(١) السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٢١.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٤٩.

وقد أخذ الناس مجالسهم، قال لهم: تفسحوا، ففسح الجميع له إلا رجلاً كان بين يدي رسول الله ﷺ لم يفسح، وقال له: قد أصبت موضعاً، فنبذه ثابت بن قيس بلقب كان يكرهه، فنزلت الآية. وقيل: نزلت في كعب بن مالك الأنصاري قال لرجل: يا أعرابي، فقال له الرجل يا يهودي، فاشتكى إلى رسول ﷺ، فنزلت الآيات. كما قيل إنها نزلت في الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات عند استهزائهم بمن مع رسول الله من الفقراء والموالي. وقيل أيضاً: نزلت في السيدة عائشة رضي الله عنها وقد عابت أم سلمة إما لقصرها أو بلبس اشتهرت به^(١). ولو تتبعنا الأسباب لكانت أكثر من أن تحصى، كما قال ابن عطية^(٢).

الترجيح:

اشتملت السورة على عديد من التوجيهات الربانية لعباده المؤمنين، فحتى وإن كان هناك سبب لنزول الآيات الكريمة، فإن جميع الأقوال الواردة صحيحة، وتحتملها الآية، لأن جميعها ذكرت أمثلة للسخرية المنهي عنها، كما أنه إن كانت هناك أقوال أخرى تنهى عن السخرية فتعتبر صحيحة أيضاً، لأن لفظ النهي كان عامًا يشمل جميع الأمور، واللفظ إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمنع إرادة المجموع حمل عليها^(٣).

(١) ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٣٣.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٤٩.

(٣) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ [الحجرات: ١٣].

قال الماوردي: "قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف

لا للافتخار، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب، قاله مجاهد، وقتادة. وقال

الشاعر: (قبائل من شعوب ليس فيهم ... كريم قد يعد ولا نجيب) وسُموا شعوباً لأن القبائل تشعبت

منها.

الثاني: أن الشعوب عرب اليمن من قحطان، والقبيلة ربيعة ومضر وسائر عدنان.

الثالث: أن الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب.

ويحتمل رابعاً: أن الشعوب هم المضافون إلى النواحي والشعاب، والقبائل هم المشتركون

في الأنساب، قال الشاعر: (وتفرقوا شعباً فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر)

والشعوب جمع شعب بفتح الشين، والشعب بكسر الشين هو الطريق، وجمعه شعاب، فكان

اختلاف الجمع مع اتفاق اللفظين تنبيهاً على اختلاف المعنيين^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معانٍ متعددة للشعوب

والقبائل المذكورة في الآية.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٣٥-٣٣٦.

الدراسة:

لم يُسَبِّقَ الماوردي أحد، وذكره من بعده القرطبي^(١)، كما جاء في تفسير الأمثل ما ذكره الماوردي مع اختلاف في اللفظ، فقيل: "الشعوب إشارة إلى انتساب الناس إلى المناطق الجغرافية، والقبائل إشارة إلى انتسابهم إلى العرق والدم"^(٢).

والمراد من قول الماوردي هو أن الشعوب هم الناس الذين لا ينتسبون لقبيلة معينة، لكنهم يسكنون في النواحي والشعب، أما القبائل فهم الذين تكون لهم أنساب ويشتركون فيها.

الترجيح:

الحكمة من هذه الآية الكريمة هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتواصل، لا للتفاخر والطعن في الأنساب، فحتى تتحقق هذه الحكمة يمكن حمل معنى الشعوب والقبائل على جميع الأقوال التي أوردها الماوردي دون ترجيح قول على آخر، كما أن الآية جاءت عامة دون تقييد معنى محدد، ويجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص على التخصيص^(٣).

المبحث الخامس: سورة ق

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق:١].

قال الماوردي: " قوله عز وجل: {ق} فيه أربعة أوجه:

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٣٤٥.

(٢) الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٥، ص ١١٦.

(٣) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤،

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

أحدها: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم بها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أن معناه قضى والله، كما قيل في حم: حم والله، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله الضحاك.

قال مقاتل: وعروق الجبال كلها منه.

ويحتمل خامساً: أن يكون معناه قف؛ كما قال الشاعر: (قلت لها قفي فقالت قاف)

أي وقفت. ويحتمل ما أريد بوقفه عليه وجهين: أحدهما: قف على إبلاغ الرسالة لئلا

تضجر بالتكذيب. الثاني: قف على العمل بما يوحي إليك لئلا تعجل على ما لم تؤمر به^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه تعدد الآراء الواردة في الحروف

المقطعة في هذه السورة وغيرها من السور التي كانت في بدايتها الحروف المقطعة، مثل (الم- آلر

- كهيعص - ص).

الدراسة:

سَبَقَ الماوردي في إضافته بعض المفسرين باختلاف بسيط، فجاء في معاني القرآن للفراء:

"أن القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر: قلنا لها: قفي، فقالت: قاف...، فكانت القاف

هنا من الوقوف، أي: إني واقفة"^(٢). وذكر هذا القول من بعده الطبري رحمه الله^(٣).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،

(مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، د.ت)، ج ٣، ص ٧٥.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٢٦.

كما جاء في تفسير الثعلبي أن معنى (ق) هو: "قف عند أمرنا، ونهينا، ولا تعدهما"^(١)، وهو كما أرى قريبٌ من قول الماوردي، ثم ذكر هذا القول عدد من أهل التفسير بعد الماوردي^(٢). وتعدّ هذه الآية كغيرها من آيات الحروف المقطعة التي كثر فيها اختلاف المفسرين، وقد ذكر معظم المفسرين فيها أن أصح الأقوال فيها هو أن هذه الحروف من الآيات المتشابهة التي لا يعلم تأويلها إلا الله.

ونذكر هنا باختصارٍ ما ذكره الماتريدي في تفسير هذه الآية، فقال: أولاً: يحتمل أن يكون قوله (ق) اسم هذه السورة، والله سبحانه وتعالى أن يسمى السور بما يشاء، كما سمي كتبه قرآنًا وزبورًا وتوراةً وإنجيلًا. ثانيًا: يحتمل أن (ق) كناية عن جميع الحروف المقطعة، (والقرآن) في الآية التي تليها هي أسماء الحروف المقطعة، فالله سبحانه وتعالى أقسم بالحروف المقطعة والمجموعة جميعها. ثالثًا: يحتمل أن (ق) اسم للجبل المحيط بالأرض، والله تعالى أقسم به.

ثم ذكر الماتريدي أن هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الأخبار تفسيرها عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر والاشتهار، كما لم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها، مما دل على أنهم تركوا السؤال عنها، وقد تركوه لعدة وجوه، إما لأن هذه الحروف المقطعة كانت بيان أحكام في نوازل عرفوها عنها، وتركوا سؤالها، لما عرفوا تلك النوازل. وإما أنهم تركوا ذلك لأنها من المتشابه الذي يجب الإيمان به، ولا يطلب له تفسير، وهي مما اختص الرسول ﷺ بمعرفته فلم يسألوا منه بيان ذلك. وإما لعلمهم أن أسماء السور لتعريف السور،

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٩، ص ٩٣.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٥٦، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٥٧، والقرطبي، الجامع في أحكام القرآن، ج ١٧، ص ٣، والشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٨٤، وصديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٥٩.

وأسماء الأعلام لا تطلب فيها المعاني، لذلك لم يسألوا معانيها. وإما لأن في وسعهم الوصول إلى معرفة ما تضمنتها الآيات، وعرفوا المراد منها باللسان، وعرفوا مواقع النزول، ففهموا المراد ولم يحتاجوا للسؤال عنها^(١).

وقد ذكر عدد من أهل التفسير بعض هذه الأقوال وغيرها، فمثلاً جاء في الطبري عن ابن عباس في قوله: (ق) و(ن) وأشباه هذه الحروف أنه قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله، وقال آخرين بأنها اسم من أسماء القرآن^(٢)، وقيل أيضاً: هي افتتاح أسماء الله تعالى كالقدير والقاهر والقاضي^(٣).

وقد ردّ ابن كثير على من قال بأن المراد من (ق) هو الجبل المحيط بالأرض فقال: هذا أثر غريب لا يصح سنده عن ابن عباس، فإسناده فيه انقطاع، والذي ثبت عن ابن عباس في قوله (ق) هو: أنه اسم من أسماء الله عز وجل. كما رد على القول الثالث الذي أورده الماوردي والمنسوب لمجاهد أن المراد: قضى الأمر لله، وقوله (ق) دلت على المحذوف من بقية الكلم، فقال: هذا التفسير فيه نظر، لأن الحذف في الكلام يكون بدليل، ولا يوجد هنا أي دليل^(٤).

ويرى ابن عاشور في القول الرابع الذي ذكر فيه أن (ق) هو: اسم الجبل المحيط بالدنيا، قال: لو أريد به الجبل لكتبت قاف بثلاثة حروف، كما تكتب دوال الأشياء مثل عين، فلا يصح أن يدل على هذه الأسماء بحروف التهجي^(٥).

(١) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٢٥.

(٣) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٩٢.

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٥) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٧٦.

الترجيح:

أرى في هذه المسألة كراي معظم أهل العلم والتفسير، وهو: الوقف في معاني هذه الحروف، وعدم الإكثار في البحث من معانيها، فهي من المتشابه الذي استأثر الله بعمله، وهو سبحانه وتعالى وحده أعلم بمراده منها.

المطلب الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿ [ق:١٦].

قال الماوردي: "في قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ تأويلان:

أحدهما: ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه.

الثاني: ونحن أملك به من حبل وريده، مع استيلائه عليه.

ويحتمل ثالثاً: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده، الذي هو من نفسه،

لأنه عرق يخالط القلب، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن جميع الأقوال بينت معنى

القرب في الآية بأوجه وطرق متعددة.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٤٦-٣٤٧.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في الإضافة التي ذكرها أحد بلفظه، إلا أن مقاتلاً ذكر معنى مقارِباً للجزء الثاني من قوله، فقال: عَلَّمَ الرب أقرب إلى القلب من حبل الوريد^(١). كما ذكر الطبري معنى مقارِباً لقول الماوردي، فقال عن جماعة من أهل التأويل إن معنى الآية: نحن أقرب إليه من حبل الوريد بالعلم بما توسوس به نفسه^(٢). فالطبري ذكر القرب وخصصه بالعلم، أما الماوردي فقد ذكر معنى العلم دون القرب.

وذكر عدد من المفسرين بعد الماوردي، الإضافة التي ذكرها، إما بنفس اللفظ كالقرطبي^(٣)، أو بلفظ آخر يؤدي إلى نفس المعنى، كالقشيري^(٤) والزمخشري^(٥) وآخرين^(٦)، فهم يرون بأن القرب في الآية هو للمجاز، والمراد من الآية: قرب علمه منه، أي نحن أعلم بحاله، ونسمع قوله، ولا يخفى علينا شيء من خفيانه، وكما يقال: الله في كل مكان، أي بعلمه، فهو سبحانه وتعالى منزّه عن الأمكنة، لكنه عبر عن قرب العلم هنا بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له.

وللإمام ابن عاشور كلامٌ جميلٌ في هذه الآية، فقال: فائدة الإخبار بأن الله سبحانه وتعالى يعلم ما توسوس به نفس كل إنسان، هو: التنبيه على سعة علمه تعالى بأحوالهم، فهو إذا كان يعلم حديث النفس، فلا عجب أن يعلم ما تنقص الأرض منهم، ثم هو ذكر فعل الخلق بصيغة الماضي،

(١) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٤، ص ١١٢.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٤٢.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٩.

(٤) ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٣٨٣.

(٦) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ١٢٨، وصديق حسن خان،

فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٦٨.

أما الإخبار عن علم ما توسوس به نفس الإنسان فقد جاء بصيغة المضارع، وذلك للدلالة على أن علمه سبحانه وتعالى بالوسوسة متجدد غير منقطع ولا محدود، والوسوسة أطلقت هنا مجازاً على ما يجول في النفس من الخواطر والعزائم، لأن الوسوسة أقرب شيء تشبه به تلك الخواطر، والقرب في الآية هنا كناية عن إحاطة العلم، لأن القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قرباً بالمكان، كما أن من لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد بالرغم من قربته لا يشعر الإنسان به لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه لا يشعر به الإنسان، ولهذا السبب اختير لتمثيل هذا القرب قرب حبل الوريد^(١).

الترجيح:

الأصح في الآية هو الأخذ بظاهرها، وعدم البحث في تفاصيل القرب كثيراً، ويمكن الجمع بين الأقوال جميعها، فالله سبحانه وتعالى قريب من الإنسان، وهو المالك لحبل وريده والقادر عليه، وهو سبحانه يعلم جميع ما توسوس به نفسه، والقاعدة تقول بأن اللفظ إذا احتمل عدة معاني ولم يمنع إرادة المجموع حملَ عليها^(٢).

المطلب الثالث: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ الْيَوْمَ

حَدِيدٍ ﴿ق: ٢٢﴾.

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما أنه الكافر، كان في غفلة من عواقب كفره، قاله ابن عباس.

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٩٩-٣٠٠-٣٠١.

(٢) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

الثاني: أنه النبي صلى الله عليه وسلم، كان في غفلة عن الرسالة مع قريش في

جاهليتهم، قاله عبد الرحمن بن زيد.

ويحتمل ثالثاً: لقد كنت أيها الإنسان في غفلة عن أن كل نفس معها سائق وشهيد

لأن هذا لا يعرف إلا بالنصوص الإلهية^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، والاختلاف فيها على جزئين، الجزء

الأول: مَنْ المخاطب في هذه الآية؟ والجزء الثاني: ما نوع الغفلة التي وقع فيها هذا المخاطب؟

الدراسة:

سبق الماوردي في الجزء الأول من قوله الإمام الطبري مع اختلاف بسيط، فالطبري قال

في هذه الآية والآية التي سبقتها أن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بهذه الآيات، فقال بعضهم:

عُنِيَ بها النبي ﷺ، وقال بعضهم: أهل الشرك، وقال بعضهم: بل عُنِيَ بها جميع الخلق، البرّ

والفاجر.

ثم رجح الطبري القول الأخير، وذلك لأن الله قال في سياق الآيات: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

وَنَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، والإنسان هنا بمعنى الناس كلهم، دون

تخصيص بعض على بعض^(٢). فعلى رأي الطبري إن كان المراد من الإنسان في هذه الآيات

جميع الناس، يكون الأمر كذلك للآية التي نحن بصدد تفسيرها.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٤٩.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٥٠-٣٥١.

كما قال الإمام مكي بأن أولى الأقوال في الآية هو أنه يراد بها: البر والفاجر، وهو قول

أكثر العلماء، واختيار الطبري رحمه الله^(١).

ومن ذكر قول الماوردي من بعده: القرطبي^(٢)، وذكر آخرين^(٣) قول الطبري، وقالوا: هي

عامّة في كل غافل.

ولو نظرنا إلى سياق الآيات السابقة لهذه الآية سنجد قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا

سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، وفي هذه الآية قال الماوردي وبعض المفسرين إن فيها قولين: أحدهما: أنها

عامّة في المسلم والكافر، وهو قول الجمهور، والثاني: أنها خاصة في الكفار، وهو قول الضحاك^(٤).

فإذا كان قول الجمهور بأن المخاطب في هذه الآية جميع الناس، يستلزم منه القول بأن

المخاطب في الآية التي معنا أيضًا جميع الناس، لأنها وردت في نفس السياق.

واختار ابن كثير قول الماوردي، فقال بعد ذكر الأقوال الواردة في الآية: "والظاهر من

السياق خلاف هذا، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو"^(٥).

الترجيح:

سياق الآيات يؤيد أن المراد من الآية: جميع الخلق، البر والفاجر، ويدخل في هذا: القول

الأول، وإضافة الماوردي، وتوجيه كلام الله تعالى إلى ما كان له نظير في سياق الآية أولى من

(١) ينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ١١، ص ٧٠٤٥.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ١٥.

(٣) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٤١، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤،

ص ١٦١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٠١، والشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٩٠، وصديق

حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٧٢.

(٤) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٤٩.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٠١.

توجيهه إلى غيره^(١)، كما أنه اختيار شيخ المفسرين الطبري رحمه الله، وكما قال صديق حسن خان: "ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة"^(٢).

المطلب الرابع: قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٨].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾" فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الوعيد الرسول، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القرآن، قاله جعفر بن سليمان.

الثالث: أنه الأمر والنهي، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه الوعد بالثواب والعقاب"^(٣).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متعددة للوعيد

المذكور في الآية، وكلمة الوعيد من الألفاظ الجامعة التي تشمل أكثر من معنى.

الدراسة:

لم يُسَدِّق الماوردي أحد، ولم يتبعه فيه أحد.

ويعتبر قول الماوردي من لوازم القول الأول والثاني، فرسل الله تعالى، والكتب التي أنزلت

عليهم اشتملت على الوعد بالثواب والعقاب، والأمر والنهي أيضاً.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٧٢.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٥٢.

يقول الماتريدي في الآية: "أرسلت إليكم الرسل، معكم الكتب، وفيها الوعيد، فلم تقبلوا ذلك كله"^(١).

وبعد النظر في بعض أقوال المفسرين قبل الماوردي وبعده^(٢)، تبين أن معظمهم ذكر المراد من الوعيد في الآية إما بإرسال الرسل، أو بإنزال الكتب، أو بهما معاً، وبعضهم جمع بين الأقوال كلها، كالسمعاني^(٣)، فذكر بعث الرسل، وإنزال الكتب، وبيان الأمر والنهي، والوعد والوعيد. وقال السعدي: "جاءتكم رسلي بالآيات البينات، والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات"^(٤).

الترجيح:

كلمة الوعيد من الألفاظ العامة الجامعة التي تشمل جميع المعاني، فجميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة، وتحتملها الآية، وإن كانت هناك أقوال أخرى بمعنى الوعيد، ولم تذكر هنا فيمكن الأخذ بها أيضاً، لأن اللفظ إذا احتمل عدة معانٍ ولم يمنع إرادة المجموع حمل عليها^(٥).

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٦٠.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٥٨، والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣٣٦، والثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٠٢، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٧٤، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ١٧، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ١٤٢، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٠٣، والشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٩١، وصديق حسن خان، فتح البيان في مقصد القرآن، ج ١٣، ص ١٧٥.

(٣) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٠٥.

(٥) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

لكن القول الأول والثاني هما أولى الأقوال، لأن إرسال الرسل وإنزال الكتب يتضمن جميع معاني الوعيد.

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴾ فيه أربعة أوجه^(١):

أحدها: فيما أُوجِّهُ من أمر ونهي، وهذا معنى قول ابن زيد.

الثاني: فيما وعد به من طاعة ومعصية، وهو محتمل.

الرابع: في أن بالحسنة عشر أمثالها، وبخمس الصلوات خمسين صلاة، قاله قتادة^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوجه متعددة لمعنى

عدم تبديل الله قوله.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد في ذلك.

(١) قال الماوردي في هذه الآية: "فيه أربعة أوجه"، لكن بعد الاطلاع في معظم نسخ التفسير، تبين أنه ذكر ثلاثة أقوال فقط، والقول الأخير جعله القول الرابع، فإما أن القول الثالث سقط منه سهواً، أو أن هناك خطأ لفظي.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٥٢.

وقد جاء في تفسير الآية بعض الأقوال الأخرى، مثل قول مقاتل عن الله سبحانه وتعالى:
"قد قضيت ما أنا قاض"¹، أي: لا يستطيع أحد تغيير قضائي وحكمي الذي حكمته، وقول الماوردي
يمكن أن يُدرج ضمن هذا القول، كما قال الفراء: "ما يكذب لدي، لعلمي بجميع الأمور"²،
وقيل: ما يبديل القول لدي، أي: "لا يغير عن جهته، ولا يحذف منه، ولا يزداد فيه"³، وقال
ابن الجوزي: "ما يبديل القول فيما وعدته من ثواب وعقاب، وهو قول الأكثرين"⁴.

فالمراد من الآية أن الله سبحانه وتعالى سيقول للمشركين وقرنائهم يوم القيامة إذا تبرأوا من
بعضهم لبعض: قد قضيت ما أنا قاض، وما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهذا القول
يحتمل أمورًا كثيرة، منها مثلاً: قول الله تعالى لعباده كما جاء في سياق الآيات السابقة: ﴿الْقِيَا فِي
جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:٢٤]، وقد جاء مثل هذا في آية أخرى، قال تعالى: ﴿لَأْمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]، أو أن يكون هذا القول هو وعد الله سبحانه وتعالى لهم، بأنه من جاء
بالحسنة فسيجازى بعشر أمثالها، أما من جاء بالسيئة فسيجازى على سيئته فقط، يقول الله تعالى:
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]⁵.

(١) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج٤، ١١٤.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥، ص١٦٥.

(٣) السمرقندي، بحر العلوم، ج٣، ص٣٣٧.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٤، ص١٦٣.

(٥) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٩، ص٣٦٠، والشوكاني، فتح القدير، ج٥، ٩١.

الترجيح:

جميع الأوجه التي أوردها الماوردي صحيحة وتحتملها الآية، لأن الله سبحانه وتعالى لن يبدل قوله أيًا كان، سواء كان هذا القول يحتمل أوامره ونواهيه، أم فيما وعد الله به عباده من الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب، والحسنات والسيئات.

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما أنا بمعذب من لم يجرم، قاله ابن عباس.

الثاني: ما أزيد في عقاب مسيء ولا أنقص من ثواب محسن، وهو محتمل^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متعددة لكيفية

عدم ظلم الله عباده.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده آخرين كالسمعاني^(٢)، وابن الجوزي^(٣)،

والخازن^(٤)، والسعدي^(٥).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٥٢.

(٢) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٣.

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ١٨٩.

(٥) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٠٥.

وهذه الآية مكملة للآية في المثال السابق، فيخبرنا الله سبحانه وتعالى فيها، أنه لن يظلم

أو يُعذب أحدًا من عباده طالما أنه لم يستحق العذاب، وهذا من عدله سبحانه وتعالى لهم.

وقد ذكر الزمخشري نكتة بلاغية في الآية، فقال بأن سبب جعل كلمة (ظلام) على لفظ

المبالغة فيه وجهان، أحدهما: هو كقولنا: ظالم لعبده: فتكون للمفرد، وظلام لعبيده؛ فتكون للجمع،

والثاني: يراد به: لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلامًا مفرط الظلم^(١).

الترجيح:

كلا القولين صحيحان وتحتملها الآية، فلن يعذب الله أحدًا من عباده إذا لم يستحق هو

العذاب، ولن يعاقب أحدًا من خلقه بجرم غيره، قال السعدي: "أجزئهم بما عملوا من خير وشر،

فلا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم"^(٢).

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٣٣].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر.

الثاني: أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها، كما فعلها سرًا.

ويحتمل ثالثًا: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء. ووجدت فيه

لبعض المتكلمين.

رابعًا: أنه الذي أطاع الله بالأدلة ولم يره"^(٣).

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص٣٨٨.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٠٥.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج٥، ص٣٥٤.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوجه متعددة لخشية

الإنسان من الغيب.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي أحد، ولم يتبعه أحد في ذلك.

وتعدّ إضافة الماوردي في هذه الأقوال جديدة وقيّمة، فكثير من الناس لا يذكرون أعمالهم

الصالحة خشية من الرياء، فيكونون بذلك خشوا ربهم بالغيب.

ومن الأقوال الأخرى التي وردت في الآية: ذكر الله سبحانه وتعالى الغيب في الآية، لأنهم

آمنوا بالبعث والجنة والنار والثواب والعقاب، وهذا كله يعتبر من الغيب^(١).

وكلمة الغيب من الكلمات التي كثر استعمالها في القرآن، وتعددت مفهوماتها مع تقاربها،

فمن معانيها: الشيء البعيد المطوي في التاريخ، ومن معانيها: المغيب المجهول ماضيا وحاضرا

ومستقبلا، ومن معانيها: حالات السر والغياب والخلوة^(٢).

وبعد تتبع بعض أقوال أهل التفسير في الآية قبل الماوردي وبعده^(٣)، تبين أن عددًا منهم

ذكر ما يقارب معنى القول الرابع من الأقوال التي أوردها الماوردي، فكان المراد من الخشية بالغيب

لديهم هو: خوف الله وطاعته بالغيب، والإيمان بثوابه وعقابه حتى لو لم يروه.

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٢) ينظر: دروزة: محمد عزت، التفسير الحديث، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ)،

ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٦٥، والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٣،

ص ٣٣٨، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٧٦، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧،

ص ٤٠٦، والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ٥، ص ١٤٨.

يقول دروزة: الذي يخشى الرحمن بالغيب هو الذي يخاف الله في السر، ولو لم ير أحد ما يفعله، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين^(١).

وقد وردت آية أخرى في سورة الأنبياء بنفس المعنى، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُخَشَّفُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فيرى ابن عطية^(٢) والرازي^(٣) أن الأرجح في معنى الذين

يخشون ربهم بالغيب هو: الذين يخشون ربهم في غيبهم وخلواتهم، فلا يراهم أحد.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، لأنه لا يجوز ادعاء خصوص في آية

ظاهرها عام، إلا بحجة يجب التسليم لها^(٤)، لكن الأولى فيها هو القول بأن الذي يخشى الرحمن

بالغيب هو الذي يطيع الله ويخافه في السر، ولو لم يره أحد، فهو الظاهر من معنى الآية، وهو ما

ذكره دروزة وعدد من المفسرين.

المطلب الثامن: قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ

هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أثروا في البلاد، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم ملكوا في البلاد، قاله الحسن.

(١) ينظر: محمد دروزة، التفسير الحديث، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٤، ص ٨٥.

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١٥١.

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٤٦٤.

الثالث: ساروا في البلاد وطافوا، قاله قتادة، ومنه قول امرئ القيس:

(وقد نقتب في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب)

الرابع: أنهم اتخذوا فيها طرقاً ومسالك، قاله ابن جريج.

ويحتمل خامساً: أنه اتخذ الحصون والقلاع^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر معاني مختلفة لكلمة

(نقبوا) في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي أحد، وتبعه بعد ذلك السعدي فقال بأن المراد من الآية هو: "بنوا

الحصون المنيعة والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا،

فلما كذبوا رسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب الأليم والعذاب الشديد"^(٢).

وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى قريشاً بأنه أهلك قبلهم قروناً كانوا أكثر منهم وأشد

قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها، ونقبوا في البلاد^(٣).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٥٥.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص ٨٠٧.

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٠٨.

والنقب في الحائط، كالتقب في الجلد، ونقب القوم أي: ساروا، والمنقبة: طريق منفذ في

الجبال، والنقيب هو الباحث عن القوم وأحوالهم، قال تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾

[المائدة: ١٢] (١).

وذكر عدد من المفسرين قبل الماوردي (٢) أو بعده (٣) معاني مختلفة، كلها تأتي بمعنى

ساروا في البلاد، مثل: (ساروا في البلاد - طافوا ... - تباعدوا - تقلبوا)، واختار الشوكاني (٤)

من بين هذه الأقوال معنى: ساروا وتقلبوا وطافوا في البلاد، وقال بأن هذا هو الأولى في الآية.

وإضافة الماوردي في هذه الأقوال جديدة ومعتبرة، فالقرون السابقة اتخذوا الحصون المنيعة

والمنازل الرفيعة مسكنًا لهم، وظنوا أن هذه الحصون ستنجيهم من عذاب الله تعالى.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة، وتحتملها الآية، فالقرون السابقة ملكوا في البلاد،

وساروا وطافوا فيها، كما اتخذوا فيها طرقًا ومسالك، وبنو الحصون والقلاع، والقاعدة تقول: إذا

احتمل اللفظ عدة معانٍ ولم يمنع إرادة المجموع حمل عليها (٥).

(١) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٨٢٠.

(٢) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٦٥-٣٦٦، والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٣،

ص ٣٣٨.

(٣) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٤٦، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤،

ص ٢٧٦، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٦٧، والقرطبي، الجامع لأحكام

القرآن، ج ١٧، ص ٢٢، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٠٨.

(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٩٤.

(٥) ينظر: السبت، قواعد التفسير جمعًا ودراسة، ص ٨٠٧.

المطلب التاسع: قال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١].

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هذه الصيحة التي ينادي بها

المنادي من مكان قريب هي النفخة الثانية التي للبعث إلى أرض المحشر.

ويحتمل وجهاً آخر، أنه نداؤه في المحشر للعرض والحساب"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى أن كلا القولين جاء فيهما

وجه مختلف من النداءات التي سينادي بها الناس يوم القيامة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد في ذلك.

ومعظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين أن النفخ في الصور سيكون مرتين، الأولى

سيحصل به الصعق، والثانية سيحصل به البعث، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، وفي

سورة النازعات قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ. تَبَعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦-٧]، قال ابن عباس

رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "تتبع الآخرة الأولى، والراجفة، النفخة الأولى، والرادفة:

النفخة الآخرة"^(٢).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٥٨.

(٢) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٢٤، ص ١٩١.

وقال قتادة رحمه الله في الآية: "هما صيحتان: أما الأولى، فتمتيت كل شيء بإذن الله، وأما

الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله"^(١).

كما جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة تصرح بالنفختين، ففي صحيح البخاري عن أبي

هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون» قال:

أربعون يومًا؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، قال:

«ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا

واحدا وهو عَجْبُ الذنْب، ومنه يركب الخَلْقُ يوم القيامة»^(٢).

وأخرج مسلم في صحيحه أيضًا عن أبي هريرة، قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي

بها شيئًا، كرهه أو لم يرضه - شك عبد العزيز - قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام

على البشر قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه

السلام على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ قال فذهب اليهودي إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «لم لطمت وجهه؟» قال: قال - يا رسول الله - والذي اصطفى موسى

عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف

الغضب في وجهه، ثم قال: " لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في

السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، أو في

(١) الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا}، ج ٦،

ص ١٦٥، رقم (٤٩٣٥).

أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام^(١).

والظاهر من سياق الآية التي نحن بصدد تفسيرها أن المقصود من النداء هو النفخة الثانية التي ستكون للبعث إلى أرض المحشر، يقول الله تعالى بعد هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمُصِيرُونَ . يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٢-٤٣-٤٤]، فكل هذه الآيات الكريمة تؤكد أن هذه الصيحة ستكون لإحياء الناس وبعثهم إلى أرض المحشر.

الترجيح:

القول الأول هو الراجح في الآية، لأن جميع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال أهل السلف، التي ذكرناها سابقاً، تبين لنا أن هناك نفختان يوم القيامة، نفخة للصعق، ونفخة للبعث إلى أرض المحشر، ولا وجود لنفخة أخرى، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية، مقدم على ما غيره.

ويعدّ ما ذكره الماوردي بعيداً عن التأويل، فلم يذكر أحد أنه سيكون هناك نداء في المحشر لعرض الحساب، والقاعدة تقول: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٨٤٣، رقم (٢٣٧٣).

(٢) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤

<https://tinyurl.com/y6qoufcy>

الفصل الثالث: إضافات الماوردي في سور: الذاريات والطور والنجم.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سورة الذاريات

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ [الذاريات: ١].

قال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ الذاريات: الرياح، واحدها ذارية لأنها

تدرو التراب والتبن أي تفرقه في الهواء، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ (الكهف: ٤٥).

وفي قوله {ذُرُوءًا} وجهان: أحدهما: مصدر.

الثاني: أنه بمعنى ما ذرت، قاله الكلبي. فكأنما أقسم بالرياح وما ذرت الرياح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات، لأن في تراثهن ذرو الخلق، لأنهن

يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في تراثهن من خيرة عباده الصالحين، وخص

النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين. أحدهما: لأنهن أوعية دون

الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر.

الثاني: أن الذرو فيهن أطول زماناً، وهن بالمباشرة أقرب عهداً^(١).

النظر في الأقوال:

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٠.

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوصاف مختلفة لكلمة

الذاريات في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده عدد من المفسرين كالسمعاني^(١) والقرطبي^(٢)

وآخرين^(٣).

والإضافة التي ذكرها الماوردي جديدة، ولننظر إلى قول الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ.

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٦-٧]، فهنا يذكر الله لنا أن مكان خروج

الإنسان هو ما بين الصلب الخاص بالرجال، والترائب الخاص بالنساء، فأقسم الله تعالى بمكان

الترائب الخاص بالنساء، لأنه فيه يتكون نرو الخلق، وقد يكون هذا الذرو منشأً لخيرة عباد الله

الصالحين.

هذا وقد ذكر بعض السلف والمفسرين معاني أخرى للذاريات، منها مثلاً: الملائكة،

والكواكب^(٤).

الترجيح:

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٣٠.

(٣) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ١٤٦، وصديق حسن خان، فتح البيان في

مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٨٩، والشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٧، ص ٤٣٤.

(٤) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٧٢، والرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٦١.

إضافة الماوردي معتبرة، وذكرها عدد من المفسرين بعده، إلا أن الأولى في الآية هو القول الأول، وذلك لأن الله تعالى قرن الرياح بالذرو في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره^(١)، كما أن هذا القول هو اختيار عدد من المفسرين بأنه الصحيح في الآية^(٢)، يقول الرازي: "أكثر أهل العلم، على أن المراد بالذاريات الرياح، وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح"^(٣).

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا﴾ [الذاريات: ٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها السُّحُب [يحملن] وُقُورًا بالمطر.

الثاني أنها الرياح [يحملن] وُقُورًا بالسحاب، فتكون الريح الأولى مقدمة السحاب، لأن أمام كل سحابة ريحاً، والريح الثانية حاملة السحاب. لأن السحاب لا يستقل ولا يسير إلا بريح. وتكون الريح الثانية تابعة للريح الأولى من غير توسط، قاله ابن بحر.

ويجري فيه احتمال قول ثالث: أنهن الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل، والوقر

تقل الحمل على ظهر أو في بطن، وبالفتح ثقل الأذن^(٤).

النظر في الأقوال:

(١) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١١٤،

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

(٢) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٥٠، وصديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد

القرآن، ج ١٣، ص ١٨٩، والشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٧، ص ٤٣٤.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٦١،

(٤) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦١.

الاختلاف الوارد في كلمة الحاملات اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أوصاف مختلفة لكلمة

(الحاملات) في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي أحد، وتبعه بعد ذلك البيضاوي^(١) بنفس اللفظ، وقال عدد آخر بأن

الجاريات هي: الحوامل من جميع الحيوان^(٢).

وتعتبر إضافة الماوردي في هذه الآية مكملة للآية السابقة، فمن قال بأنه من المحتمل أن

يكون المراد من الذاريات: النساء الولودات، ناسبه أن يقول عن (الحاملات): النساء الحوامل إذا

تقلن بالحمل. وهو قول جديد، فالمعروف أن النساء إذا تقدمت شهور حملهن، ازددن ثقلاً، وهذا

هو المراد من وقر الحاملات.

وضعف الشنقيطي قول الماوردي فقال: "القول بأنها هي حوامل الأجنة من الإناث، ظاهر

السقوط"^(٣).

الترجيح:

(١) ينظر، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٥، ص١٤٦.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥، ص١٧١، وأبو حيان، البحر

المحيط في التفسير، ج٩، ص٥٤٨.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٧، ص٤٣٥.

إضافة الماوردي جديدة وتحتملها الآية، لكن إن كان الأولى في تفسير الذاريات بأنها الرياح، يكون الأولى في تفسير الجاريات بأنها السحاب الموقرة بالماء، كما أنه قول عدد من المفسرين^(١).

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾" فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني في أمر مختلف، فمطيع وعاص، ومؤمن وكافر، قاله السدي.

الثاني: أنه القرآن فمصدق له ومكذب به، قاله قتادة.

الثالث: أنهم أهل الشرك مختلف عليهم بالباطل، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: أنهم عبدة الأوثان والأصنام، يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره.

وهذا جواب القسم الثاني^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه أن الآية جاءت عامة دون تقييد

معنى (القول المختلف) على أمرٍ دون آخر، فذكر المفسرون أمثلة مختلفة لمعناه.

الدراسة:

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٣٩٣، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٣٩٤، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٧، والشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٩٨، والألوسي، روح المعاني، ج ١٤، ص ٣، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٠٨.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٣.

ذكر الماتريدي قبل الماوردي عدة وجوه للآية منها ما يقارب قول الماوردي، فقال: "(إنكم لفي قول مختلف)، أي: قول متفرق، ومذهب متناقض؛ فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هووا شيئاً آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره"^(١).

ثم ذكره من بعده عدد من المفسرين كالقرطبي^(٢) والشوكاني^(٣) وآخرين^(٤) إضافة الماوردي إما بنفس اللفظ، أو باختلاف بسيط.

والقول الذي أضافه الماوردي قيمّ ومعتبر، فنحن نعلم أن أهل الشرك يقرون بتوحيد الربوبية، وينكرون توحيد الألوهية، فهم كانوا يقرون بأن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، لكن مع ذلك كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وهذا أمر متناقض.

وخير ما فعله بعض المفسرين هو ذكر الأقوال الواردة في الآية مع تصنيفها بحسب تعيين المراد والمخاطب منها، فهل كان المقصود من الآية رسول الله ﷺ، أم القرآن؟ وهل كان الخطاب للجميع أم للكفرة فقط؟

ذكر الماتريدي عدة وجوه للآية، منها أن المراد من الآية الرسول ﷺ، والقرآن الكريم أيضاً، فهم قالوا في رسول الله بأنه مجنون، وساحر، وشاعر، وهذا قول متناقض، فلا يجتمع الجنون مع السحر، ولا الشعر مع الجنون. وكذلك قولهم في القرآن أيضاً، فتارة يقولون بأنه أحاديث الأولين، وتارة يقولون بأنه مفترى، والافتراء خلاف الأساطير.

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٧٦.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٣٣.

(٣) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ١٠٠.

(٤) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٦٣، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ومحمد صديق

خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ١٩٢.

ومن الوجوه التي ذكرها الماتريدي أيضًا: تناقض المشركين في العبادة كما ذكره الماوردي، فكانوا يعبدون أشياء على هواهم، ثم إذا وجدوا شيئًا آخر عبده وتركوا السابق^(١).

أما المخاطب من الآية، فهل القول يحتمل جميع الناس، المؤمنين والكافرين؟ أم هو للكفار فقط؟ فيرى ابن عطية في هذا الأمر أن المخاطب في الآية يحتمل به الجميع المؤمن والكافر، ففريق قال: آمنة، وآخر قال: كفرنا. ويحتمل أن يكون الخطاب للكفرة فقط، لأن القول بالسحر والجنون وغيرهما لا يقول به إلا كافر^(٢).

وأرى أن قوله صحيح، فبناء على الأقوال الواردة في الآية، القولين الأولين كان المخاطب بهما جميع الناس، فمن المسلمين مطيع وعاص، ومن المسلمين من يصدق بالقرآن، ومنهم من يكذب به، أو يقوم بتأويل آياته تماشياً مع مذهبه.

أما القول الثالث من الأقوال التي أوردها الماوردي فقد جاء فيه بوضوح أن المخاطب هم أهل الشرك، وإضافة الماوردي نستنتج منها أن المخاطب هم أهل الشرك فقط، لأنهم هم وحدهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة، ولا يستلزم الترجيح بينها، فالقول المختلف كما يرى ابن عاشور: "هو القول المتناقض الذي يخالف بعضه بعضًا، فيقتضي بعضه ابطال بعض الذي هم فيه". والمشركين كانت جميع أقوالهم في الدين والقرآن والرسول ﷺ مختلفة ومتناقضة، والآيات القرآنية تؤيد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ

(١) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٧٣.

هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَتْهَا ﴾ [الفرقان: ٥]، وقالوا: ﴿ إِنَّ

هَذَا إِلَّا إِخْتِلَاقٌ ﴾ [ص: ٧]، ومع اعترافهم بأن الله خالق كل شيء قالوا بتعدد الآلهة، يقول الله تعالى:

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]، ويقول

تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨]^(١).

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ [الذاريات: ١١].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في غفلة لاهون، قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلالاتهم متمادون، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: في عمى وشبهة يترددون، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: الذين هم في مأثم المعاصي ساهون عن أداء الفرائض"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، حيث ذكرت جميع الأقوال أمثلة على

سهو الكفار بمعاني متقاربة وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٤.

إلا أن جميع الأقوال التي أوردها الماوردي كانت متقاربة في المعنى، وإن اختلف اللفظ

فيها.

وذكر بعض المفسرين معاني أخرى متقاربة، فقال بعضهم: هذا مثل قول الله تعالى: ﴿بَلْ

قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [المؤمنون: ٦٣]، أي في "غطاء وغلف"، و(ساهون) فيها أقوال متعددة، منها:

"ساهون عن الحق وعماد دعاؤه إليه، لاهون عن التوحيد والإيمان، تاركون الإيمان"^(١). وقال القرطبي:

"الغمرة ما ستر الشيء وغطاه، و(ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة"^(٢).

أما الإمام ابن عاشور فذكر في هذه الآية كلاماً مهماً، فقد فسّر أولاً معنى الغمرة، فقال:

"الغمرة: المرة من الغمر"، وهذه الكلمة تفسّر بما يضاف إليها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي

غَمْرَاتِ المَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أما إذا لم تقيد بإضافة، فإن تعيينها يكون بحسب المقام والسياق، كقوله

تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، أي دعهم فيما يشغلهم من معاداة الإسلام شغلاً،

لا يستطيعون معه تدبير دعوة النبي ﷺ. ثم ذكر معنى السهو، فقال: هو "الغفلة"، والمراد: هم

معرضون كإعراض الغافل لكنهم ليسوا بغافلين، لأن دعوة القرآن تترع أسماعهم كل حين، وهذا

نظير قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]^(٣)

الترجيح:

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٧٧.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٣٤.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٣٤٤.

جميع الأقوال الواردة في الآية ترجع إلى معنى واحد، وهو: غفلة وسهو الكفار عن أمور الدين والدنيا والآخرة، فجميعها صحيحة وتحتملها الآية، وإضافة الماوردي معتبرة، والقاعدة تقول: إذا احتل اللفظ عدة معانٍ ولم يمنع إرادة المجموع حمل عليها^(١). فالكفار كانوا في غمرة من الجهل والشك والضلال، غافلين عن أداء الفرائض، وغافلين عن أمر الله تعالى، وعن الآخرة. قال الماتريدي بعد أن ذكر عدة أقوال في الآية: "ولكن الكل يرجع إلى معنى واحد"^(٢).

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾" أما السائل فهو مَنْ يسأل الناس لفاقته،

وأما المحروم، ففيه ثمانية أقوال:

أحدها: المتعفف الذي يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة.

الثاني: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن ومحمد بن

الحنفية. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا، فنزلت الآية.

الثالث: أنه من ليس له سهم في الإسلام، قاله ابن عباس.

الرابع: المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول عائشة.

الخامس: أنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

السادس: أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، قاله ابن زيد.

السابع: أنه المملوك، قاله عبد الرحمن بن حميد.

(١) ينظر: السبب، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص ٨٠٧.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٧٧.

الثامن: أنه الكلب، روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب

فاحتز عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم.

ويحتمل تاسعاً: أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه، حتى

وجبت نفقته في مال غيره"^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة متنوعة للمحروم

المذكور في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(٢).

وتعدّ إضافة الماوردي على هذه الأقوال إضافة جديدة وقيمة، فجميعنا نعرف القول

المشهور: الأقربون أولى بالمعروف، وهذا ليس قولاً فقط، بل هو مبدأ أقر به القرآن الكريم، يقول

الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾

[البقرة: ٢١٥]، فذكر الأقربين بعد الوالدين مباشرة، كما قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]. والسنة النبوية أيضاً أقرت بهذا الأمر، فعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة،

أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من

نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٣٩.

يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَتَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَتَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلي بئرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(١). وفي صحيح مسلم أيضاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»^(٢).

فجميع هذه الأدلة تؤيد ما ذكره الماوردي، وهو أن أجر النفقة على ذوي الأنساب إذا كانوا مستحقين أعظم وأكثر من غيرهم.

ويرى الجصاص أن الأظهر في الآية هو القول بأنها في الزكاة، لأن الزكاة حق معلوم، وهي واجبة لا محالة، وجائز أن جميع ما تأول السلف عليه هو المراد بالآية في جواز إعطائهم الزكاة^(٣). لكن يُردُّ على هذا القول بأن السورة مكية، والزكاة فرضت في المدينة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج ٢، ص ١١٩، رقم (١٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو

حبس نفقتهم عنهم، ج ٢، ص ٦٩٢، رقم (٩٩٥).

(٣) ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، ج ٥، ص ٢٩٦.

وكما يرى ابن عطية أن هذا الحق على وجه الندب، لا على وجه الفرض، وكلمة (معلوم) في الآية يراد به: متعارف، وكذلك الأمر في قيام الليل الذي ورد في الآيات التي تسبقها كان على وجه الندب لا الفرض^(١).

ورجح ابن الجوزي القول الأول، وهو أن المحروم هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً، فقال: "أظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل"^(٢).

وخير ما فعله بعض المفسرين هو الجمع بين الأقوال كلها، يقول الطبري: "الصواب من القول في ذلك عندي أن المحروم هو الذي قد حرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم"^(٣).

كما يرى ابن عطية أن اختلاف الناس في المحروم هو تخليط من المتأخرين، فالمعنى واحد، إلا أن علماء السلف عبروا في ذلك بعبارات وأمثلة متنوعة، والمعنى الجامع عنده لهذه الأقوال هو "أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه، وإلا فالذي أجيحت ثمرته وله مال كثير غيرها فليس في هذه الآية بإجماع"^(٤).

وقال أبو حيان بعد أن ذكر العديد من الأقوال: "وكل هذه الأقوال على سبيل التمثيل لا التعيين، ويجمعها أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه"^(٥).

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٧٥.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٩.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٤١٨.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٧٥.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٩، ص ٥٥٢.

الترجيح:

جميع الأقوال التي ذكرها الماوردي صحيحة وتحتملها الآية، لأنها جاءت على سبيل التمثيل لا التعيين، ولو كان المراد منها صنفاً دون آخر، لحدده الآية كما حددت آية الزكاة الأصناف المستحقة كالفقراء والمساكين والعاملين عليها وغيرهم، بالإضافة إلى أن عدداً من المفسرين الذين تم ذكرهم سابقاً قالوا بأن الآية عامة في كل محروم لا يملك المال لحرمان أصابه، والقاعدة تقول: لا يجوز ادعاء خصوص في آية، ظاهرها عام، إلا بحجة يجب التسليم لها^(١).

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ فيه خمسة تأويلات،

أحدها: أنه سبيل الغائط والبول، قاله ابن الزبير ومجاهد.

الثاني: تسوية مفاصل أيديكم وأرجلكم وجوارحك دليل على أنكم خلقتم لعبادته،

قاله قتادة.

الثالث: في خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، قاله ابن زيد.

الرابع: في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم، قاله السدي.

الخامس: في الكبر بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: أنه نجح العاجز وحرمان الحازم^(٢).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٧.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الآية السابقة اختلاف تنوع، وسبب الاختلاف أن كلمة الأنفس جاءت

عامة دون تقييد، فذكر المفسرون أمثلة مختلفة عليها.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده القرطبي^(١).

ولو تأملنا في الأقوال السابقة سنجد أن الأقوال الخمسة الأولى حثت على تفكير الإنسان

في نفسه وجسمه، أما إضافة الماوردي فقد ذكرت المعنى المعنوي للآية.

وتعدّ إضافته جديدة في هذه الآية، إذ قال: أن الآية تدل على نجاح العاجز وحرمان

الحازم، وفي اللغة يأتي العجز بمعنى الضعف، وهو نقيض الحزم، وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه

إلى خلاف الحزم كأن نسبه إلى العجز^(٢). والحزم أي: "ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة"،

والحازم هو: "العاقل المميز ذو الحنكة"^(٣).

فكأن المراد من الآية بحسب إضافة الماوردي: ألا ترى أيها الإنسان أنك في كثير من

الأحيان تنجح بالرغم من عجزك وضعفك، وفي كثير من الأحيان تحرم وتفشل بالرغم من قوتك

واستطاعتك لحزم الأمور؟! كل هذه الأمور وجدت حتى تبصر وتتفكر في نفسك، وتستعين بحول

الله تعالى وقوته، ثم تحمد الله على نعمه الكثيرة. وأقرب مثال للآية بحسب نظري هو قصة نبي

الله موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده، فموسى عليه السلام كان عاجزاً ضعيفاً، لا يملك كثيراً

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٤٠.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٦٩.

(٣) المرجع السابق، ج١٢، ص١٣١.

من المال والقوة، بعكس فرعون القوي المتكبر، صاحب الأموال والجنود الكثيرة، لكن شاءت حكمة الله تعالى في نهاية الأمر أن ينتصر هذا العبد الضعيف العاجز، على فرعون الطاغية.

إذا، أرى أن كل المعاني التي وردت في الآية قيّمة، وتدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل في نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، فكل هذه الآيات دالة على عظمة خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان.

يقول الماتريدي: "(وفي أنفسكم) أي: في خلق أنفسكم، (أفلا تبصرون) أنه كيف سوى أنفسكم على أحسن الصور وأحسن التقويم بعد ما كان أصلها وجوهرها من ماء؟ وكذلك أصل جواهر الأنعام والبهائم من نطفة أيضًا، ثم ركبها على صور صالحة لمنافعكم، وركبكم على أحسن الصور، ثم جعل فيكم من العقل والسمع والبصر ما تُدرك بها حقائق الأشياء المحسوسة والمعاني الحكيمية لتتأملوا في ذلك كله، فتكون آية الوجدانية وآية إلزام الشكر والعبادة له"^(١).

وبعد التتبع في عدد من كتب المفسرين تبين أن بعضهم ذكر جميع أو بعض الأقوال في الآية دون ترجيح بينها، والبعض الآخر ذكر ما يدل على أن المراد من الآية عام، قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: وفي أنفسكم أيضًا أيها الناس آيات وعبر تدلّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه"^(٢).

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٨٢.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٤٢٠.

ويرى السمعاني أن الأولى في الآية أن يقال: سائر الآيات التي في النفس تدل على أن لها خالقًا وصانعًا^(١).

وجمع ابن الجوزي بين عدد من الأقوال فقال: "وفي أنفسكم آيات إذ كنتم نطفًا، ثم عظامًا، ثم علقًا، ثم مضغًا، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع، وتقويم الأدوات والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم"^(٢).

وقال القرطبي بعد أن ذكر أمثلة متعددة في الآية: "كل ما ذكر مراد في الاعتبار"^(٣).

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة في الآية صحيحة وتحتملها الآية، فالله تعالى دعا الإنسان إلى التأمل في نفسه، والتفكر في أحواله، حتى يستشعر نعم الله المتعددة عليه، ثم يحمدہ عليها، وبالشكر تدوم النعم، كما أن عددًا من المفسرين قالوا بأن الآية عامة، وكل ما ورد فيها صحيح.

المطلب السابع: قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيى به الخلق فهو

رزق لهم من السماء، قاله سعيد بن جبیر والضحاك.

الثاني: يعني أن من عند الله الذي في السماء رزقكم.

(١) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٤٠.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وفي السماء تقدير رزقكم، وما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني متعددة للرزق

المكتوب في السماء.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده عدد من المفسرين كالسمعاني^(٢) والقرطبي^(٣)

وأخرين^(٤).

وبالنسبة للأقوال الواردة في الآية، فالمراد من القول الأول واضح وظاهر، فما ينزل من

السماء من مطر وثلج هو رزق للإنسان، وأضاف بعض المفسرين أموراً أخرى موجودة في السماء

كالشمس والقمر والملائكة أيضاً، فهي موكلة بحفظ الأرزاق في السماء^(٥).

والمراد من القول الثاني الذي ذكره الماوردي أن الرزق يأتيكم من قِبَل الله عز وجل، فهو

سبحانه يقضي ما يقضيه من الأرزاق، وعليه فيجب على المؤمن أن يعلق قلبه بالله تعالى، ولا

يعتمد على الأسباب مهما عظمت أو قويت، فإذا لم يقدر الله تعالى إتيان الرزق تتعطل الأسباب^(٦)،

لكن يجب على الإنسان مع هذا كله أن لا يغفل عن العمل والجد والاجتهاد.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٦٧-٣٦٨

(٢) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٤١.

(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ١٠٢، ومحمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد

القرآن، ج ١٣، ص ١٩٨.

(٥) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٣٨٢.

(٦) ينظر إلى مقطع الفيديو للأستاذ الدكتور خالد المصلح، ٢٠١٥/٩/١٢:

<https://www.youtube.com/watch?v=D1SYy4vA8Go>

أما المراد من إضافة الماوردي فهو: جميع أرزاقنا مقدرة ومكتوبة في السماء في اللوح المحفوظ، وهو قول جديد وقيم، فجميعنا نعم أن أرزاقنا وأقدارنا مكتوبة في السماء، والأدلة على هذا الأمر كثيرة، منها ما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"^(١).

ومن المعاني الأخرى التي وردت في الآية ما ذكره بعض أهل العلم أن المراد من الرزق: "الجنة"^(٢). ولعلمهم أرادوا أن الجنة في السماء، وهي رزقكم، أو فيها رزقكم الأبدى.

ولالإمام فخر الرازي كلامٌ جميلٌ في الآية، فهو يرى أن هذه الآية والآيتين اللتين تسبقانها فيها ترتيب حسن، والآيات هي قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، فالإنسان له أمور يحتاج إليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه، وأمور أخرى تقارنه في الوجود، وأمور أخرى تلحقه وتوجد بعده ليبقى فيها، فالأرض هي المكان وإليه يحتاج الإنسان ولا بد من سبقها، لذلك قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم في نفس الإنسان أمور من الأجسام والأعراض فقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ثم بقاؤه مرتبطا بالرزق فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ ولولا السماء لما كان للناس البقاء^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج ٤، ص ٢٠٤٤، رقم (٢٦٥٣).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ١٦٩.

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٧٢.

الترجيح:

الأولى في الآية الجمع بين الأقوال كلها، فأقول: جميع أرزاقنا المادية والمعنوية تأتينا من عند الله تعالى، وهي مكتوبة ومقدرة في السماء.

وقلت "بالمعنوية" لأنه لا يشترط أن يكون الرزق مادياً، فحب العلم الديني أو الدنيوي الذي فيه نفع رزق، وبر الوالدين رزق، وحب القرآن رزق، ومصاحبة الصالحين رزق، وغيرها من الأرزاق المعنوية الأخرى التي نسأل الله تعالى أن لا يحرمننا منها.

المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٩].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿ بِرُكْبِهِ ﴾" فيه أربعة أوجه:

أحدها: بجموعه وأجناده، قاله ابن زيد.

الثاني: بقوته، قاله ابن عباس، ومنه قول عنترة:

(فما أوهى مراس الحرب ركني ... ولكن ما تقادم من زمني.)

الثالث: بجانبه، قاله الأخفش^(١).

الرابع: بميله عن الحق وعناده بالكفر، قاله مقاتل.

ويحتمل خامساً بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به^(٢).

(١) هو: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي البصري، قيل فيه أنه: كان أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل، وأوسعهم بالعلم، ومن كتبه المصنفة: كتاب "الأوسط" في النحو والكتاب، وتفسير معاني القرآن، وكتاب العروض، ينظر إلى ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٨١.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٧٢.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني وأوجه

متعددة لكلمة الركن في الآية.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه فيه أحد.

وأصل كلمة الركن: "الجانب والناحية التي يعتمد عليها، ويقوى بها"^(١). قال الأصفهاني:

"رُكْنُ الشَّيْءِ: جَانِبُهُ الَّذِي يَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَعَارُ لِقُوَّةِ"^(٢). وقد وردت كلمة الركن في آية أخرى من

القرآن الكريم في قصة لوط عليه السلام، وذلك عندما هجره الجميع ولم يبق معه أحد، فقال: ﴿لَوْ

أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وقال عدد من المفسرين^(٣) إن المراد من الركن في

هذه الآية: العشيرة، أي لو كانت لدي عشيرة لمنعتكم مما تريدون. ومعنى العشيرة قريب من المعاني

التي ذكرتها في الآية كالقوم والجنود والأصحاب.

وتعتبر إضافة الماوردي على هذه الأقوال إضافة جديدة وقيّمة، ففرعون كان يملك كثيراً

من المال، وكان هذا المال بالنسبة له جانباً قوياً يركن إليه ويتقوى به. وهذا ليس مع فرعون

فحسب، بل أي ملك على وجه الأرض أو حتى أي إنسان عادي، إن كان يملك كثيراً من المال

تجده يتقوى به.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ٥٣٥.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ٣٦٥.

(٣) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٤، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٦، ص ١٦٢،

والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ١٦٤، والماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٤٩٠، وابن عطية، المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز، ج ٣، ص ١٩٥.

وذكر الرازي احتمالاً آخر في الآية، فقال: "يحتمل أن يكون المراد من ركنه هامان، فإنه كان وزيره"^(١). وهذا يدخل في القول الأول لأن هامان كان من جموعه وجنوده.

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، فعندما أنكر فرعون دعوة موسى، ذهب وتولى بجنده وقوته وماله، ولا شك أنه عندما تولى تولى بجنبه مائلاً عن الحق.

إلا أنه وكما ذكرت سابقاً أن أصل الركن في اللغة هو: الجانب والناحية التي يعتمد عليها ويتقوى فيها، فاستناداً على المعنى اللغوي يكون الأولى في الآية هو مجموع الأقوال: الأول والثاني وإضافة الماوردي، لأن المصدر الأساسي لدى فرعون كان جنوده وقوته وأمواله التي معه.

المطلب التاسع: قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فذكر بالقرآن، قاله قتادة.

الثاني: فذكر بالعظة فإن الوعظ ينفع المؤمنين، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: وذكر بالثواب والعقاب، فإن الرغبة والرغبة تنفع المؤمنين"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر أمثلة مختلفة للتذكير

الذي طلبه الله سبحانه وتعالى من نبيه أن يذكر به قومه.

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٨٢.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٧٤.

الدراسة:

لم يُسَقِّقِ الماوردي في قوله بنفس اللفظ أحد، ولم يتبعه فيه أحد.

إلا أن الإمام مكياً ذكر في تفسيره قبل الماوردي قولاً بنفس المعنى، فقال: "وذكرهم بالعقوبة وبالهلاك وبأيام الله"^(١)، وقال القشيري بعد الماوردي: "ذكر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمري، وذكّر المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة"^(٢)، فأرى أن هذه الأقوال قريبة من قول الماوردي وإن اختلف اللفظ في التأويل، لأن الهدف منها واحد، وهو تذكير المؤمنين بالثواب والعقاب.

وإضافة الماوردي في هذه الأقوال إضافة قيمة ومعتبرة، فإن ارتبط أي عمل بالجزاء سواء بالثواب أو العقاب يكون العمل به أو الابتعاد عنه أكثر.

ويعدّ أسلوب الثواب والعقاب درساً تربوياً لكل مرب أو مربية، سواء كان من الوالدين أم من كان في مجال التربية من المعلمين والأساتذة، فالثواب والعقاب وسيلة من وسائل التربية، ومتى ما وضع الثواب والتحفيز المادي أو حتى المعنوي تجد الإقبال على العمل المطلوب بكثرة، ومتى ما وضع العقاب وإن كان بسيطاً تجد الابتعاد والتجنب عن العمل المنهي عنه.

الترجيح:

التذكير في الآية الكريمة يشمل جميع الأقوال الواردة، فقد يكون التذكير بالقرآن، وقد يكون بالعظة، وقد يكون أيضاً بالثواب والعقاب. إلا أن أولى الأقوال في الآية هو القول الأول، فالقرآن الكريم يشمل جميع أنواع العظة، والثواب والعقاب.

(١) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ١١، ص ٧١٠٧.

(٢) القشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٤٦٩-٤٧٠.

ومن العجب أن ترى بعض الدعاة في دعوتهم يتكلمون بكل كلام يخطر ببالهم، لكنهم يتغافلون عن آيات القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى أيد رسوله بهذا القرآن العظيم، وأمره أن يدعو به، ويعتمد عليه، وذلك لقوة تأثيره في النفس، كما أن كثيراً من الآيات القرآنية تأمر بالدعوة بالقرآن العظيم نفسه وتحث عليه، منها قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٢]، وكان مجاهد يقول: "حيثما يأتيني القرآن فهو داعٍ، وهو نذير" (١).

ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس عن هذا الأمر: "كما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه، - أي: على النبي ﷺ - فذلك هو فرض على أمته هكذا على الإجمال. وعند التفصيل تجده فرضاً على الدعاة والمرشدين الذين يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين، فالنبي ﷺ قوة لأمته فيما اشتملت عليه الآية من نهي وأمر" ثم قال: "عندما يختلف عليك الدعاة، الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر: من يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه، فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي ﷺ في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن" (٢).

كما لا ننسى أن هناك كثيراً من آيات القرآن الكريم حثت على مبدأ الثواب والعقاب، قال

تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]،

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١١، ص ٢٩١.

(٢) ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم

الخبير)، تحقيق: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٥م)، ص ١٨٨-١٨٩.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

شَيْئًا ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] .

المبحث الثاني: سورة الطور

وفيه مطلب واحد

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ [الطور: ١٣] .

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يدفعون دفعاً عنيفاً ومنه قول الراجز:

(يدعه بصفحتي حيزومه ... دع الوصي جانبي يتيمه) قاله ابن عباس ومجاهد

والضحاك والسدي وابن زيد.

الثاني: يزعمون إزعاجاً، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: أن يدعهم زبانيته بالدعاء عليهم^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني مختلفة لكلمة

(يُدْعَوْنَ) في الآية.

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٣٨٠.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي أحد، وذكر الزمخشري من بعده قراءة أخرى في الآية عن زيد ابن علي، والذي قال فيها: "يدعون: من الدعاء، أي يقال لهم: هلموا إلى النار، وادخلوا النار دعًا مدعوعين"^(١). والدعُّ في اللغة هو: الدفع بشدة وعنف^(٢). وقد وردت كلمة الدعُّ في آية أخرى في سورة الماعون، قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، وكان من معانيها في هذه الآية: دفع اليتيم بشدة^(٣). أي أن الكفار كانوا يدفعون اليتيم بشدة دون رحمة وشفقة. وكذا الأمر في آية سورة الطور، حيث وصف الله الملائكة بأنهم يدفعون الكفار دفعًا شديدًا بشدة وعنف. قال الرازي: "وهذا يدل على هول نار جهنم، فخرنتها لا يقربون منها، إنما يدفعون ويلقون أهلها إليها من بعيد"^(٤). يقول مقاتل: "وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب يغلُّون بأيدي الكفار إلى أعناقهم، ثم يجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم في جهنم دفعًا على وجوههم"^(٥). أما القول الذي ذكره الماوردي، فهو - والله أعلم - بناءً على قراءة أخرى للآية، والمنسوبة لزيد بن علي، حيث قال: "يدعون، من الدعاء، أي يقال لهم: هلموا إلى النار وادخلوا النار دعًا مدعوعين"^(٦)، أي أن زبانية النار يدعون الكفار للدخول إلى النار.

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٤٠٩. لم أجد لهذه القراءة ذكرا في كتب القراءات أو كتب علوم القرآن، وهي قراءة شاذة.

(٢) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣١٤، والسمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٦٩.

(٣) ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج ٦، ص ٣٥١.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ٢٠٤.

(٥) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٤، ص ١٤٤.

(٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٤٠٩.

الترجيح:

أولى الأقوال في الآية هو القول الأول، استنادا إلى المعنى اللغوي، والقول الذي تؤيده اللغة مقدم على غيره، كما أن آية سورة الماعون تؤيد معنى القول الأول، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره^(١)، بالإضافة إلى أن القول الأول هو القراءة الصحيحة للآية.

المبحث الثالث: سورة النجم

وفيه ثمانية مطالب

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ

أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾" فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني لا تمادحوا، قاله ابن شوذب.

الثاني: لا تعملوا بالمعاصي، وتقولوا نعمل بالطاعة، قاله ابن جريج.

الثالث: إذا عملت خيراً فلا تقل عملت كذا وكذا.

ويحتمل رابعاً: لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً.

ويحتمل خامساً: لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أذكىء"^(٢).

(١) اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥/٩/١٤،

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٢.

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، لأن جميع الأقوال ذكرت أمثلة على

النهي عن تزكية النفس.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوليه، ولم يتبعه فيهما أحد.

وتعدّ إضافته في هذه الأقوال جديدة وقيّمة، فالمراد من احتمالها الرابع الذي ذكره، وهو: "لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً"، أي: لا تزينوا أعمالكم، فتظهروا السيئ والقبيح على أنه حسن، والمنكر على أنه معروف. وهو قول وجيه وفي محله، فتجد كثيراً من الناس يفعل القبايح والمنهيات ثم يظهرها للناس بصورة حسنة، أو يطلق على الأفعال القبيحة بمسميات أخرى حتى لا يظن الناس بأنها من المنهيات، مثل إطلاق البعض على الخمر بأنه من المشروبات الروحية، وعلى الرقص والغناء بأنه من الفن الحسن، وعلى الربا بأنه فائدة للمال، ومثل هذا كثير، ولا شك أن هذا كله من عمل الشيطان فهو يزين لهم أعمالهم، وقد عاتب الله تعالى في القرآن الكريم الأمم السابقة على ما فعلوه فقال تعالى: ﴿ تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِزْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَيُؤْمِنُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ [النحل: ٦٣].

والاحتمال الخامس الذي ذكره الماوردي وهو: "لا تراؤوا بعمالكم المخلوقين لتكونوا عندهم

أزكيا"، قول مميز أيضاً، فأرى أن كثيراً من الناس يراؤون بأعمالهم الصالحة، ويزكون أنفسهم أمام الناس وبالأخص في أماكن العمل وأمام رؤسائهم، ولا شك أن هذا الأمر منهّي عنه إن كان المقصد منه سيئاً، أما إن كان من أجل تحقيق مصلحة عامة فهو جائز، وهو كما قال سيدنا يوسف عليه

السلام لملك مصر: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] ^(١)، وكان بالفعل نبي

الله يوسف عليه السلام تتوفر فيه هذه الصفات، لذا وجب لمن يمدح نفسه أن تتوفر فيه الصفات المطلوبة.

ويرى الزمخشري أن التزكية المنهي عنها هي التي إذا كانت على سبيل الإعجاب أو الرياء، أما من اعتقد بأن أعماله الصالحة بتوفيق من الله وتأييد منه، لا يدخل من المزكّين أنفسهم، فالمسرة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر ^(٢).

وأنا أؤيده في هذا القول، فإن كان المقصد من التزكية حسنا، فلا بأس به، وقد يكون بهذا قدوة لغيره في الأعمال الصالحة واكتساب الصفات الحسنة والتخلق بها.

وقد وردت بعض الآثار المتعلقة بالآية منها: ما قاله مسلم في صحيحه: عن ابن عباس، قال: "كانت جويرية اسمها برة" ^(٣) فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة" ^(٤)، وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم، وسميت برة"، فقال

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٢٥.

(٢) ينظر: الزمخشري: الكشاف في حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٣) معنى برة: الفتاة المطيعة، المستجيبة، البارة، من تحسن المعاملة عن حب، فنهى النبي ﷺ عن التسمية بهذا الاسم حتى لا يزكي به نفسه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم

برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، ج ٣، ص ١٦٨٧، رقم (٢١٤٠).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم". فقالوا: بم نسميها؟ قال: "سموها زينب"^(١).

فإذا ورد النهي والذم عن التسمية بالأسماء التي تدل على التزكية، فكيف بتزكية الإنسان لنفسه أو أعماله؟!

وكل كلامي السابق كان في تزكية الإنسان لنفسه لأن ظاهر الآية الكريمة يبين لنا أن المقصود من النهي فيها هو الإنسان نفسه، لكن من المحتمل جدًا أن يشمل النهي على: تزكية الناس بعضهم لبعض أيضًا، وهذا مثل قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، أي: ليسلم بعضكم على بعض^(٢). والقول في تزكية الإنسان لغيره، كالقول في تزكية الإنسان لنفسه، فهناك أمور ضرورية تكون التزكية فيها جائزة، كتزكية الإمام، والشهود في الحقوق، وقد زكى رسول الله ﷺ بعض أصحابه كأبي بكر وغيره^(٣).

أما المدح المبالغ فيه فلا يجوز، ومن المعاني التي وردت في تفسير الآية: "لا يمدح بعضكم بعضا"^(٤). وقد جاء حديث للنبي ﷺ في النهي عن المدح فعن همام بن الحارث، أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، ج ٣، ص ١٦٨٧، رقم (٢١٤٢).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٣٠٣.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٢٠٥.

(٤) السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣٦٤.

الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»^(١).

كما ثبت أيضًا في الحديث الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: أتى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارًا، ثم قال: «من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»^(٢).

ومن المعاني الأخرى التي وردت في الآية أيضًا: لا تركوا أهل دينكم ومذهبكم، لأنه كان متعارفًا في الناس أنهم كانوا يزكون أهل مذهبهم، وإن كانوا أهل شر ومذمة^(٣).

وفي نهاية الآية التي معنا قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، وهي جملة وقعت موقع البيان لأهم أسباب النهي، أي: فوضوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فهو أعلم بمن اتقى منكم^(٤).

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة أمثلة للنهي عن تركية النفس أو الغير، وإن اختلفت ألفاظ القائلين بها، لذا تعتبر جميعها صحيحة وتحتملها الآية، وإضافات الماوردي في الآية معتبرة وقيمة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، ج ٤، ص ٢٢٩٧، رقم (٣٠٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه، ج ٣، ص ١٧٦، رقم (٢٦٦٢).

(٣) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٤٣٢.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٢٦.

والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبنا التي هي مصدر التقوى والعمل، لذا نحن لسنا بحاجة لتزكية أنفسنا وأعمالنا، فهو سبحانه عليم بصير بكل شيء. يقول سيد قطب: " فما هو بحاجة إلى أن تدلوه على أنفسكم، ولا أن تزنوا له أعمالكم؛ فعنده العلم الكامل. وعنده الميزان الدقيق. وجزاؤه العدل. وقوله الفصل. وإليه يرجع الأمر كله"^(١).

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ [النجم:٣٥].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾" فيه وجهان:

أحدهما: معناه أعلم الغيب فرأى أن ما سمعه باطل.

الثاني: أنزل عليه القرآن فرأى ما صنعه حقاً، قاله الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أعلم أن لا بعث، فهو يرى أن لا جزاء"^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه تفسير الغيب بمعانٍ مختلفة في

الآية.

الدراسة:

سَبَقَ الماوردي في الجزء الأول من قوله الإمام مقاتل فقال: "أعنده علم الغيب بأن الله لا

يبعثه فهو يرى"^(٣). ولم يتبع الماوردي أحد في قوله.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤١٣.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٣.

(٣) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٤، ص ١٦٥.

وهذه الآية متصلة بالآيات السابقة لها، وبالأخص الآيتين السابقتين مباشرة، وهي قول الله

تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى . وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٣-٣٤]، وحتى نتوصل إلى المراد الصحيح

من الآية التي معنا يجب ذكر بعض ما قاله المفسرون في سبب نزول الآيات السابقة، فقيل: إنها نزلت في الوليد بن مغيرة، وذلك عندما عاتبه بعض المشركين لأنه اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فقال لهم: إني أخشى عذاب الله، فضمن له إن أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه سيحمل عنه كل عذابه، فوافقه الوليد ورجع في شركه، وأعطى صاحبه الضامن بعض ما كان ضمن له، وبخل عليه بالباقي، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

ورواية أخرى تقول بأنها نزلت في أبي العاص بن وائل السهمي لأنه كان ربما يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور، كما قيل بأنها نزلت في أبي جهل لأنه أقر بأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يأمرهم إلا بكمارم الأخلاق، ومع هذا لم يؤمن^(٢).

والذي توصلت إليه بعد النظر في الأقوال الواردة أنه بالرغم من تعدد الأقوال في سبب نزول الآية إلا أن القصد من الآية واحد، فهذا الشخص إن كان الوليد بن مغيرة أو غيره كان سبباً ووسيلة لاستبعاد هذا الأمر، وجميعنا نعلم أن كل إنسان محاسب على أعماله فقط، ولا يستطيع أي شخص تحمل أخطاء الآخرين.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٥٤١، والواحي، أسباب نزول القرآن،

ص ٤١٦.

(٢) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٥١، الماوردي، النكت والعيون، ج ٥،

ص ٤٠٢.

ولو نظرنا إلى سياق الآيات اللاحقة لهذه الآية، سنجد قول الله تعالى: ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]، ومثل هذه الآية وردت في القرآن الكريم في خمسة مواضع^(١)، وفي كل هذه

الآيات جاءت تبين لنا أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا يمكن لله سبحانه وتعالى أن يحمل

أحدًا مسؤولية عملٍ صدر من غيره، وهذه تعتبر من المبادئ القرآنية المحكمة المتوافقة مع مبادئ

الحق والعدل في الإسلام^(٢).

الترجيح:

بعد ذكر أسباب نزول الآيات، أتت الآية التي نحن بصدد دراستها للتقريع والتوبيخ، وكان

المراد منها بناءً على القول الأول: هل عند هذا الإنسان علم بالأمر الغيبية، هل يعلم أن صاحبه

سيحمل عنه العذاب يوم القيامة؟ هل يعلم أن كل إنسان مسؤول ومحاسب على أعماله فقط؟

وعلى القول الثاني: هل كان لدى هذا الإنسان علم أن القرآن سينزل فيه ويخبر النبي ﷺ بفعله؟،

وعلى إضافة الماوردي: هل يعلم هذا الإنسان أن هنالك يوم سيبعث الله فيه الخلق ويلقى كل إنسان

مصير أعماله؟ هو أنكر الجزاء، لكن هل له أن ينكر يوم البعث أيضًا!

فجميع هذه الأقوال والمعاني المذكورة صحيحة وتحتملها الآية، ولا يستلزم الترجيح بينها،

يقول سيد قطب: "والغيب لله، لا يراه أحد سواه، فلا يأمن الإنسان ما خبي فيه؛ وعليه أن يواصل

(١) بدأت الآيات الأخرى بـ(ولا) بدل (ألا)، ووردت في السور الآتية: الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨،

الزمر: ٧.

(٢) ينظر: دروزة، التفسير الحديث، ج ٢، ص ١١٦.

عمله وبذله، وأن يعيش حذراً موفياً طوال حياته؛ وألا يبذل ثم ينقطع، ولا ضمان له في الغيب المجهول إلا حذره وعمله ووفائه، ورجاؤه بهذا كله في مغفرة الله وقبوله^(١).

المطلب الثالث: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الضحك والبكاء.

الثاني: أنه أراد بالضحك السرور، وبالبكاء الحزن.

والثالث: أن خلق قوتي الضحك والبكاء، فإن الله ميز الإنسان بالضحك والبكاء من

بين سائر الحيوان، فليس في سائر الحيوان ما يضحك ويبكي غير الإنسان، وقيل إن القرد

وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالضحك والبكاء النعم والنقم^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني متعددة لكيفية

الضحك والبكاء.

الدراسة:

لم يسبق الماوردي في قوله، ولم يتبعه أحد فيه.

وتعدّ إضافة الماوردي في هذه الأقوال قريبة من القول الثاني، فالفرح والسرور والنعم من

لوازم الضحك، والحزن والنقم من لوازم البكاء.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤١٤.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٤.

أما القول الثالث من الأقوال التي ذكرها الماوردي، قال به الزمخشري^(١) أيضًا، ويرى أبو حيان أن هذا القول فيه دسيسة الاعتزال، لأنهم يعتقدون أن أفعال العباد من الضحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد، لا لله تعالى، لذلك قالوا: خلق قوتي الضحك والبكاء^(٢).

وقد ذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى في الآية، منها: أضحك من شاء من أهل الدنيا وأبكى من شاء منها، وقال آخرون: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار^(٣).

ويرى ابن الجوزي أن في هذه الآية تنبيهًا على أن جميع الأعمال بقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء^(٤).

الترجيح:

جميع الأقوال التي ذكرها الماوردي، والأقوال الأخرى التي ذكرتها لبعض أهل العلم تحمل معنى الضحك والبكاء، فجميعها صحيحة وتحتملها الآية، إلا أن الأولى في الآية هو الأخذ بظاهرها، والقول بأنه أضحك خلقه وأبكاهم، قال السمعاني: "والأصح من الأقاويل أنه أضحك الخلق وأبكاهم"^(٥).

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص٤٢٨.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج١٠، ص٢٥.

(٣) ينظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، ج٤، ص١٦٦، والطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج٢٢، ص٥٤٧، والسمرقندي، بحر العلوم، ج٣، ص٣٦٦، والثعلبي، الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، ج٩، ص١٥٥، ومكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج١١، ص٧١٧٣، والقشيري، لطائف الإشارات، ج٣، ص٤٨٩، والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص١٠٤٣.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٤، ص١٩٣.

(٥) السمعاني، تفسير القرآن، ج٥، ص٣٠١.

المطلب الرابع: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الموت والحياة.

الثاني: خلق الموت والحياة كما قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} قاله ابن

بجر.

الثالث: أن يريد بالحياة الخصب وبالموت الجذب.

الرابع: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة.

الخامس: أمات الآباء وأحيا الأبناء.

ويحتمل سادساً: أن يريد به أنام وأيقظ^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، يرجع إلى ذكر معاني وأوجه متعددة للموت

والحياة.

الدراسة:

لم يُسبق الماوردي في قوله، وذكره من بعده الشوكاني^(٢) وصديق حسن خان^(٣).

والإضافة التي ذكرها الماوردي معتبرة وقيّمة، فقد جاءت أدلة صريحة من الكتاب والسنة

تدل على أن الروح تقبض عند النوم، وأن النوم صورة من صور الوفاة، قال الله سبحانه وتعالى:

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٤.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ١٤٠.

(٣) ينظر: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٣، ص ٢٧٤.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُوَفِّقُكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأعام: ٦٠]، يقول ابن

كثير في تفسير هذه الآية أن الله تعالى ذكر فيها الوفاتين الصغرى والكبرى، وفي آية أخرى ذكر

الكبرى قبل الصغرى^(١)، وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال بعض السلف فيها: أرواح الأموات

تقبض عند الموت، وأرواح الأحياء تقبض عند النوم، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف، ثم يمسك

التي قضى عليها الموت التي قد ماتت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى^(٢).

ومن الأحاديث الصحيحة التي وردت في السنة: الأدعية التي أوصانا النبي ﷺ بقولها عند

النوم والاستيقاظ، فعن البراء، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم

باسمك أحيأ، وباسمك أموت» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه

النشور»^(٣)، وهذه الأدعية تدل على أن النوم موت، والاستيقاظ حياة.

وذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى، منها: "أمات من مات من خلقه، وأحيأ من أحيأ منهم،

وعنى بقوله (أحيأ) نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصويره الروح فيها"^(٤)، وقال بعضهم:

(١) الوفاة الصغرى: النوم، والكبرى: الموت

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ

المضجع، ج ٤، ص ٢٠٨٣، رقم (٢٧١١).

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٥٤٨.

"يميت في الدنيا، ويحيي في الآخرة للبعث"^(١). وقيل: "أمات عن ذكره وأحيا بذكره، وقيل: أمات بعدله، وأحيا بفضلته، وقيل: أمات بالمنع والبخل، وأحيا بالجد والبذل"^(٢).

الترجيح:

جميع الأقوال التي ذكرها الماوردي صور من صور الموت والحياة للإنسان، فتعدُّ صحيحة وتحتملها الآية، عدا القول الثالث في الآية فهو خاص بموت وحياة الأرض الزراعية.

إلا أن الأولى في الآية هو حمل المعنى على الظاهر منها والقول بأنه أمات من شاء من

خلقه، وأحيا من شاء منهم، أو أمات في الدنيا، وأحيا في الآخرة للبعث.

المطلب الخامس: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم:٤٨].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أغنى بالكفاية، وأقنى بالزيادة، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: أغنى بالمعيشة، وأقنى بالمال، قاله الضحاك.

الثالث: أغنى بالمال، وأقنى بأن جعل لهم قنية، وهي أصول الأموال، قاله أبو صالح.

الرابع: أغنى بأن مَوَّل، وأقنى بأن حرم، قاله مجاهد.

الخامس: أغنى نفسه، وأقنى خلقه إليه، قاله سليمان التيمي.

السادس: أغنى من شاء وأقنى من شاء، قاله ابن زيد.

السابع: أغنى بالقناعة، وأقنى بالرضا، قاله سفيان.

الثامن: أغنى عن أن يخدم، وأقنى أن يستخدم، وهذا معنى قول السدي.

(١) السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٢) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٥٦.

ويحتمل تاسعاً: أغنى بما كسبه [الإنسان] في الحياة، وأقنى بما خلفه بعد الوفاة مأخوذ

من اقتناء المال، وهو استبقاؤه^(١).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسبب الاختلاف أن جميع الأقوال

ذكرت أمثلة متعددة لتوضيح معنى الغنى والقنى في الآية.

الدراسة:

لم يُسَيِّق الماوردي أحد، ولم يتبعه أحد.

وسبب الاختلاف في الآية وكثرة الأقوال فيها هو أن القنى من الألفاظ العامة التي تشمل

أمورا كثيرة، ومعنى الغنى واضح ومفهوم، أما معنى القنى، فهو: الادخار^(٢)، أي ادخار الأموال أو الأشياء.

وقد قيل في الآية أمثلة أخرى غير التي أوردها الماوردي، منها: "أغنى: بالذهب، وبالفضة،

والثياب، والمسكن، وأقنى: بالإبل، والبقر، والغنم، والدواب"^(٣). وقال ابن عطية في معنى أقنى:

"الوجه فيها بحسب اللغة: أكسب ما يقتني"^(٤). وجعل السعدي المعنى عامًا، فقال: "أغنى العباد

بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من

الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين له، ومالكين لكثير من الأعيان"^(٥).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٥.

(٢) ينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ١١، ص ٧١٧٣، وابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٠٥.

(٣) السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٢٠٨.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص ٨٢٢.

الترجيح:

لم تقيد الآية بمعنى خاص، بل جاءت عامة، والقاعدة تقول: إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه^(١)، لذلك تعدُّ جميع الأقوال الواردة صحيحة وتحتملها الآية، ولا يستلزم الترجيح بينها.

المطلب السادس: قال تعالى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٦].

قال الماوردي: قوله تعالى: " ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن محمداً نذير الحق أنذر به الأنبياء قبله، قاله ابن جريج.

الثاني: أن القرآن نذير بما أنذرت به الكتب الأولى، قاله قتادة.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم^(٢).

النظر في الأقوال:

الاختلاف الوارد في الأقوال السابقة اختلاف تنوع، وسببه اختلاف مرجع ضمير (هذا) في

الآية، فهل المشار إليه: محمد ﷺ، أم القرآن، أم هلاك الأمم السابقة؟

الدراسة:

سبق الماوردي في قوله الإمام مقاتل باختلاف بسيط في اللفظ، فقال: "هذا الذي أخبر عن

هلاك الأمم الخالية، يعني قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، يخوف كفار مكة ليحذروا معصيته"^(٣).

(١) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ج ١، ص ٥٣٦.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٦.

(٣) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٤، ص ١٦٨.

كما قال أبو مالك^(١): "مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى"، ومعناه: هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم قد أنذرتهم الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى^(٢). فأرى أن القولين السابقين قريبان من قول الماوردي.

وتبع الماوردي في قوله عدد من المفسرين كابن عطية^(٣) والرازي^(٤) وآخرين^(٥). وبعد النظر في الآية وسياقها أرى أن الآية مرتبطة بالآيات التي درسناها سابقاً^(٦)، فبعد أن ذكر الله أنه أليس لدى هذا الإنسان علم بالغيب والبعث، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم:٣٦]، ثم استمرت الآيات تُفَصِّلُ ما جاء في هذه الصحف من عدم تحمل أي إنسان وزر إنسان آخر، وقدرة الله وحده على الإضحاك والإبكاء، والإحياء والإماتة، وخلق الزوجين، ثم ذكرت الآيات هلاك الأمم السابقة كعاد، وشمود، ونوح، ثم قال الله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ [النجم:٥٦]، فنظرًا لسياق الآية قال أبو مالك: هذا نذير مما أنذر به قومهم في صحف إبراهيم وموسى.

فلفظ (هذا) في الآية إشارة إلى ما تقدمه من الكلام من ذكر ما جاء في الصحف. يقول الطبري: "وهذا الذي ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله تعالى ذكر ذلك في

(١) أبو مالك: اسمه غزوان الغفاري، وهو كوفي ثقة. ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس بن

المنذر التميمي، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٥٢م)، ج٧، ص٥٥.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢، ص٥٥٦.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥، ص٢٠٩.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩، ص٢٨٥.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص١٢١، والشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص١٤٢.

(٦) من الآية: ٣٥ إلى ٥٥ من سورة النجم.

سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى، نذير من النذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاء تكم" (١).

ويدخل في هذا المعنى قول الماوردي، لأن من ضمن ما ورد في هذه الصحف ذكر هلاك الأمم السابقة، فكأن الآية تقول: ما ذكرناه من هلاك الأمم السابقة في الصحف، نذير لكم. واختار ابن عطية (٢) القول الأول حيث قال: "والأشبه أن تكون الإشارة إلى محمد"، إلا أنه لم يذكر دليلاً على ترجيحه. وذكر أبو حيان في تفسيره عن قوم أن الإشارة في الآية إلى رسول الله ﷺ، وذلك لأن السورة افتتحت بذكره، كذلك اختتم آخرها به (٣).

الترجيح:

جميع الأقوال الواردة صحيحة، وتحتملها الآية، فمحمد ﷺ نذير من البشر، ورسول إليكم، كالذين كانوا من قبل، وقد أُنذر به الأنبياء قبله، والقرآن نذير أيضاً، كما كانت الكتب الأولى تنذر قومها، وهلاك الأمم السابقة نذير لكم أيضاً، حتى تأخذوا العظة والعبرة. إلا أن الأولى في الآية هو قول أبي مالك، فكلمة (هذا) ترجع إلى ما تقدم ذكره من الآيات السابقة؛ وهو اختيار شيخ المفسرين الطبري رحمه الله. ويدخل في قول أبي مالك ما ذكره الماوردي، فقد جاء ذكر هلاك الأمم السابقة في صحف إبراهيم وموسى.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٥٥٧.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ٢٠٩،

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢٨.

المطلب السابع: ﴿أَمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ﴾ [النجم: ٥٩].

قال الماوردي: قال تعالى: "﴿أَمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من القرآن في نزوله من عند الله.

الثاني: من البعث والجزاء وهو محتمل"^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع، وسببه عدم تحديد الآية المراد من

كلمة الحديث فيها، فذكرت الأقوال معاني مختلفة له.

الدراسة:

سَبَقَ الماوردي في قوله الإمام الماتريدي مع اختلاف بسيط، فقال: تعجب المشركون من

أمرين، أحدهما: من بعث الرسل، والثاني: من البعث بعد ما يفتنون، ويبلون"^(٢).

وذكر الرازي بعد الماوردي أمثلة على تعجب المشركين من كيفية البعث يوم القيامة، فقال:

"هذا إشارة إلى حديث: ﴿أَزِفَتْ الْأَرْفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، فإنهم كانوا يتعجبون من حشر الأجساد وجمع

العظام بعد الفساد"^(٣).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٧.

(٢) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٤٣٩.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٢٨٧.

وقد وردت كلمة الحديث في آيات أخرى، يقول تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

[الطور: ٣٤]، وكان المراد من الحديث في هذه الآية: القرآن الكريم^(١).

يقول الإمام الشنقيطي في تفسير الآية السابقة: "قد أطلق جل وعلا اسم الحديث على

القرآن في قوله هنا: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾، كما أطلق عليه ذلك في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ

كِتَابًا مُّشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

[يوسف: ١١١]"^(٢).

الترجيح:

القولان الواردان صحيحان وتحتملهما الآية، فبالنظر إلى سياق الآيات أرى أنه جاء فيها

ذكر القرآن عند قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ﴾، فناسبه القول إن المراد من الحديث في

الآية هو القرآن، كما جاء في الآيات السابقة ذكر البعث والجزاء، وأهوال يوم القيامة، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ. لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧-٥٨]، وبهذا تكون إضافة الماوردي معتبرة.

المطلب الثامن: قال تعالى: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تُبْكُونَ﴾ [النجم: ٦٠].

قال الماوردي: قوله تعالى: "﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تُبْكُونَ﴾ فيها وجهان:

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٢، ص ٤٨١، والسمرقندي، بحر العلوم، ج ٣،

ص ٣٥٤، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٩٥، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٨، ص ١٥١.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٧، ص ٤٦٠.

أحدهما: تضحكون استهزاء، ولا تكون انزجاراً.

الثاني: تفرحون، ولا تحزنون، وهو محتمل^(١).

النظر في القولين:

الاختلاف الوارد في القولين السابقين اختلاف تنوع يرجع إلى ذكر معاني متعددة للضحك

والبكاء، كما أن القول الثاني من لوازم القول الأول.

الدراسة:

سَبَقَ الماوردي في قوله الماتريدي باختلاف في اللفظ، فقال: الضحك في الآية ليس على

حقيقته، بل هو كناية عن الاستهزاء، كما يكون الضحك أيضاً كناية عن السرور، والبكاء ليس

على حقيقته أيضاً، فهو كناية عن الحزن، أي: تسرون على ما أنتم عليه، ولا تحزنون على ما

فرط منكم من الأعمال وسوء الصنيع^(٢). وتبع الماوردي في قوله العز بن عبد السلام^(٣).

وتعدّ هذه الآية من الآيات التي فيها زجر للمشركين لأنهم كانوا يضحكون ويستهزئون عند

سماع القرآن الكريم، وهو الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون،

سماغاً لأمره ونهيه، وإصغاءً لوعده ووعيده^(٤)، ويمكن أن يكون المراد من الآية: الحث على البكاء

عند سماع القرآن^(٥).

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٠٧.

(٢) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٩، ص ٤٣٩.

(٣) ينظر: العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٤) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٢٢.

(٥) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٣، ص ٢١٠.

الترجيح:

القولان الواردان صحيحان، وتحتملهما الآية، ولا يستلزم الترجيح بينهما، فالفرح والحزن من

لوازم الضحك والبكاء، وبهذا تعتبر إضافة الماوردي معتبرة، ويمكن الأخذ بها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبفضل من الله تعالى وتوفيقه وتيسيره تم الانتهاء من هذه الرسالة، وعند الانتهاء منها توصلت إلى عديدًا من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج.

- سَبَقَ الماوردي مفسرين آخرين في بعض الإضافات التي ذكرها، وهذا يجعلنا نظن أنه لم يطلع على التفاسير التي سبقته، ثم توافق اجتهاده معهم.
- اعتمد الماوردي في إضافته على عدة أصول، من أبرزها: ضرب الأمثلة للألفاظ العامة، والتعبير عن الألفاظ بمعانٍ متقاربة، والمعنى اللغوي للألفاظ، والتفسير باللازم، والتفسير بالإشاري، وغيرها.
- تأثر المفسرون والعلماء بتفسير الماوردي، حيث أخذوا عنه، ونقلوا كثيرًا من أقواله في تفاسيرهم، وهذا يدل على المكانة السامية، والقيمة العلمية لتفسيره، ومن أبرز الذين تأثروا به: ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز"، وابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير في علم التفسير"، وفخر الدين الرازي، صاحب التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، والقرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، والشوكاني في تفسيره "فتح القدير"، وصديق حسن خان في تفسيره "فتح البيان في مقاصد القرآن".
- تمكَّن الماوردي من علوم الشريعة والاجتهاد، واطلاعه الواسع على أقوال السلف في التفسير.
- تميَّز تفسير الماوردي بحسن الترتيب والتنظيم والعرض، بالإضافة إلى أن الأقوال التي أوردها كانت مختصرة اختصاراً مفيداً غير مخل.

- بالرغم من أن تفسير العز بن عبد السلام هو اختصارٌ لتفسير الماوردي، إلا أنه لم يُذكر إضافات الماوردي في الجزئية المعنية من هذا البحث إلا في ثلاث آيات فقط: سورة الجاثية الآية الرابعة والثلاثين، وسورة الأحقاف الآية الثالثة، وسورة النجم الآية السّتين.

- عدد الإضافات المقررة في هذه الرسالة ست وستون إضافة، في سبع عشرة إضافة سبق مفسرون آخريّن الماوردي إما بنفس اللفظ أو بلفظ مقارب، وفي ثلاث وأربعين إضافة تبعه المفسرون، معظمها كانت بنفس قول الماوردي، أو بقول ومعنى مقارب، كما لاقت إضافاته بالصحة والقبول في تسعة وأربعين موضعاً، وفي أربعة عشر موضعاً آخر كانت صحيحة ومعناها مناسب، لكن كانت هناك أقوال أخرى أولى وأصح في الآية بسبب بعض القواعد التفسيرية، وتم استبعاد ثلاث إضافات فقط، الأولى في سورة الدخان الآية السادسة عشر، لأن الآية كانت في الغيبيات، وإضافته كانت بعيدة عن التأويل، ولا دليل على صحتها، والثانية في سورة الأحقاف الآية السادسة والعشرين كان فيها قليلٌ من التكلف، والثالثة في سورة ق الآية الرابعة عشر، كانت الآية أيضاً من الأمور الغيبية، ولم أجد دليلاً قوياً لإضافته.

ثانياً: التوصيات.

- توجب الجامعات والمؤسسات التعليمية الكبرى إلى الاهتمام بدراسة مثل هذه التفاسير القيّمة، وتوجيه الباحثين إلى دراستها، لما لها من فوائد عظيمة.
- تخصيص بحث مستقل لدراسة الإضافات التي ذكرها الماوردي على الآيات التي لم يُذكر فيها تفسير السابقين لها.

- إقامة ندوة أو مؤتمر بعد الانتهاء من هذا المشروع كاملاً، لجميع الباحثين والباحثات

القائمين عليه، لمعرفة أهم المميزات والتحديات التي واجهتهم، وبالأخص التي تتعلق

بدراسة مصنفات التفاسير الكاملة.

وأخيراً، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني

به وإياكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه..

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- الأزدي: مقاتل بن سليمان بن بشير، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣هـ).
- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ).
- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ).
- ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، تحقيق: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٥م).
- البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه=صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دم: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ).
- البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وسليمان مسلم، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٩هـ).
- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ٢٠٠٣م).
- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ).
- الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ).
- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠٢م)،
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٣م)،
- الجزري: عز الدين أبي الحسن علي، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، د. ط، ١٩٨٠).
- ابن جني: أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والأيضاح عنها، (دم: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، ١٩٩٩م).
- الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ)

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس بن المنذر التميمي، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٥٢م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية-الهند، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٩٧١).
- الحربي: حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، (الرياض، دار القاسم، ط ١، ١٩٩٦م).
- الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٦م).
- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء=إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م).
- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد حميل، (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٠م).
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٢م).
- الخطيب: عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٠٠م).

- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).
- دروزة: محمد عزت، التفسير الحديث، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م).
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣).
- الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٩٩٩م).
- الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).
- الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م).
- الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (دم: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، د.ت).
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ص٢٠٠٢م).

- الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ)،
- السبب: خالد عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، (د.م: دار ابن عفان، د.ط، د.ت).
- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح محمد الحلو، (د.م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ).
- السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللوحيق، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م).
- أبو السعود: محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣م).
- السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧).
- سيد قطب: إبراهيم بن حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢هـ).
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

- الشوكاني: محمد بن علي محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، (بيروت: دار المعرفة، ط ٤، ٢٠٠٧).
- الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ٢٠١٣م).
- ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، طبقات الفقهاء للشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢م).
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠١م).
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وتخريج: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ط، د.ت).
- الطيار: مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، (الرياض: دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٣م).
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).
- العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٦م).

- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، د.ت.).
- أبو علي: إسماعيل نبيل خالد، **الإشارات البلاغية في تفسير الماوردي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).
- ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله من منظور، **معاني القرآن**، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، د.ت.).
- أبو الفلاح: عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (دمشق بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٩م).
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: دار المعرفة، ط ٤، ٢٠٠٧).
- القشيري: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، د.ت).
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٣م).

- ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، (د.م: دار هجر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧م).
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ).
- لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، د.ت)، ج ١، ص ٧٠٧.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٥م).
- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٢م).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، المعجم الوسيط، (د.م: دار الدعوة، د.ط، د.ت).
- محمد صديق خان: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٩٢م).
- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- مكي: أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث

- العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٨م).
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي، لسان العرب (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).
- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٩٩٨م)،
- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م).
- الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م).

مراجع شبكة الإنترنت:

- إسلام ويب، (ألفاظ قرآنية)، ٢٠١١١٢١٢٥
- <https://www.islamweb.net/ar/article/173751/>
- مقطع فيديو للأستاذ الدكتور خالد المصلح، ٢٠١٥/٩/١٢:
- <https://www.youtube.com/watch?v=D1SYy4vA8Go>

- اسلام ويب، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢٠١٥١٩١١٤

<https://tinyurl.com/y6goufcy>

- "القرآن وصراع الحق والباطل"، الكاتب: إسلام ويب، تاريخ النشر: ٢٠٢٠١١٠١١:

<https://tinyurl.com/y3mraax8>

الملاحق

الجدول ١: خلاصة الدراسة في الفصل الأول

اسم السورة و رقم الآية	إضافة الماوردي	نوع الإضافة	هل سبقه أحد؟	هل تبعه أحد؟	القيمة العلمية
سورة فصلت آية: ٥	ويحتمل رابعاً: فاعمل لأخرك فإنا نعمل لدنيانا	عبارة جديدة مقاربة المعنى	لا	نعم	قول صحيح، وتحتمله الآية.
سورة فصلت آية: ٢٥	ويحتمل خامساً: ما بين أيديهم من مستقبل الطاعات أن لا يفعلوها، وما خلفهم من سالف المعاصي أن لا يتوبوا منها	معنى مختلف مقارب المعنى	لا	لا	قول صحيح، وتحتمله الآية، لأن الآية جاءت عامّة دون تقييد معنى محدد.
سورة فصلت آية ٣٠	ويحتمل سادساً: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة	مثال مختلف.	نعم، الجزء الأول	لا	قول صحيح وتحتمله الآية.

				تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرغبة	
قول صحيح وتحتمله الآية.	لا	لا	قول جديد قريب من التفسير الإشاري للآية.	ويحتمل ثالثاً: نحن أولياؤكم في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالكرامة	سورة فصلت آية ٣١
قول صحيح وتحتمله الآية.	لا	لا	مثال جديد	ويحتمل ثالثاً: ادفع بالتعافل إساءة المذنب، والذنب من الأدنى، والإساءة من الأعلى	سورة فصلت آية ٣٤
قول صحيح وتحتمله الآية.	لا	لا	قول جديد يستند على سياق الآية	ويحتمل رابعاً: أنه ذو الخلق الحسن	سورة فصلت آية ٣٥
وصف جديد ويعتبر صحيح كبقية الأقوال.	معنى مقارب لقوله	لا	قول جديد يستند على اللغة.	ويحتمل ثالثاً: ذليلة بالجذب لأنها مهجورة، وهي إذا أخصبت عزيزة لأنها معمورة	سورة فصلت آية: ٣٩

سورة فصلت آية: ٤٢	ويحتمل خامساً: أن الباطل التناقض والاختلاف	مثال جديد	لا	نعم	قول صحيح يدخل في عموم الآية
سورة فصلت آية: ٤٢	ويحتمل رابعاً: ما بين يديه: لفظه وما خلفه: تأويله، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا تأويل	قول جديد	لا	لا	قول جديد وقيم ويعتبر صحيح كبقية الأقوال.
سورة فصلت آية: ٤٤	ويحتمل رابعاً: من مكان بعيد من الإجابة	معنى جديد قريب من معنى القول الثاني	لا	لا	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الشورى آية: ١٣	ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده	مثال جديد من لوازم القول الأول	لا	لا	قول جديد وقيم وتحتمله الآية.
سورة الشورى آية: ١٤	ويحتمل إلى الأجل الذي قُضِيَ فيه بعذابهم	قول جديد استند على اللغة وآيات قرآنية أخرى	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الشورى آية: ٣٨	الثاني: إنفاق الحلال من أكسابهم، وهو محتمل	قول مختلف استند على	نعم	نعم	ليس قولاً جديداً، وهو الراجح بين الأقوال.

			المعنى العام للآية		
قول صحيح ويعتبر من لوازم القول الأول.	نعم	لا	التفسير باللازم	الثاني: ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، ولا الإيمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل	سورة الشورى آية: ٥٢
قول صحيح وهو من لوازم القولان المختاران في الآية.	لا	لا	معنى جديد استند على التفسير باللازم	ويحتمل خامساً: أن نوجد ولا نؤاخذ، ونقول فلا نفعل	سورة الزخرف: آية: ٥
قول صحيح يمكن حمل الآية عليه.	نعم	لا	معنى جديد يعتبر من المعاني المجازية للآية، أو التفسير باللازم	ويحتمل ثانياً: أي معايش	سورة الزخرف آية: ١٠
قول صحيح وتحتمله الآية	نعم	نعم	تكلمة المعنى المثال السابق	ويحتمل ثالثاً: تهتدون إلى معاشكم	سورة الزخرف آية: ١٠

سورة الزخرف: ١٢	ويحتمل رابعاً: أن الأزواج ما يتقلب فيه الناس من خيرٍ وشرٍ، وإيمان وكفر، وغنى وفقر، وصحة وسقم	مثال جديد	قول مقارب له	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الزخرف آية: ٥١	ويحتمل رابعاً: أنه أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها وقوله {تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} أي أفرقها على من يتبعني لأن الترغيب والقدرة في الأموال في الأنهار	التفسير باللازم	لا	لا	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن الأولى هما القولان الأول والثاني لأنهما المعنى الظاهر والمعروف من لغة العرب.
سورة الزخرف آية: ٦٣	ويحتمل ثالثاً: أن الحكمة الإنجيل الذي أنزل عليه	معنى مختلف يستند على آيات قرآنية أخرى	نعم	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الدخان آية: ٣	ويحتمل ثانياً: منذرين بالرسل من الضلال	معنى مختلف	نعم	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن الأولى هو

القول الأول لأن القواعد التفسيرية تؤيده					
قول صحيح وتحتمله الآية	لا	لا	قول جديد استند على سياق الآية	ويحتمل: ثالثاً: أنه إرسال محمد صلى الله عليه وسلم نبياً	سورة الدخان آية: ٥
الآية من الغيبات وما ذكره الماوردي لم نجد له دليلاً صحيحاً ولا نكراً عن أهل التأويل	نعم	لا	قول جديد	ويحتمل: ثالثاً: أنها قيام الساعة لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا	سورة الدخان آية: ١٦
قول صحيح وتحتمله الآية	نعم	نعم	قول جديد	الثالث: أدوا إليّ يا عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله، وهذا محتمل	سورة الدخان آية: ١٨
يمكن حمل الآية عليه لكن الأقوال الأخرى أقرب	لا	لا	وصف جديد	ويحتمل رابعاً: أنه مرابط الخيل لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة	سورة الدخان آية: ٢٦

وأظهر لمعنى المقام في الآية					
قول صحيح وتحتل الآية.	نعم	لا	مثال جديد	الثاني: اليوم نترككم من الرحمة كما تركتم الطاعة، وهو محتمل.	سورة الجاثية آية: ٣٤

الجدول ٢: خلاصة الدراسة في الفصل الثاني

القيمة العلمية	هل تبعه أحد؟	هل سبقه أحد؟	نوع الإضافة	إضافة الماوردي	اسم السورة و رقم الآية
قول صحيح، لكن سياق الآية لا يحتمل هذا المعنى.	نعم	لا	ذكر وجه جديد للآية	أنه الأجل المقدر لكل مخلوق، وهو محتمل	الأحقاف آية: ٣
أقوال صحيحة وتحتلها الآية، لكن هناك قول	نعم	لا	ذكر معاني مقاربة بسبب اختلاف	ويحتمل رابعاً: أو اجتهاد بعلم، لأن أثارة العلم الاجتهاد.	الأحقاف آية: ٤

آخر أعم وأشمل منه.			القراءات في الآية	ويحتمل خامساً: أو مناظرة بعلم لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه	
قول جديد لكنه لا يقبل، لأن الأقوال الأخرى قوية وتؤديها القواعد التفسيرية، أما إضافته ففيها تكلف.	نعم	لا	ذكر وجه جديد بسبب احتمال حرف الضمير لأكثر من معنى	ويحتمل ثالثاً: وهو أن تكون ثابتة غير زائدة ويكون جوابها مضمراً محذوفاً ويكون تقديره: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد	الأحقاف: آية: ٢٦
قول صحيح وتحتمله الآية، لأن الآية عامة وتحتمل جميع الأقوال.	نعم	نعم	مثال جديد	ويحتمل ثالثاً: أنه الهوى	سورة محمد آية: ٣
قول صحيح لكن القاعدة التفسيرية ترفضه.	نعم	لا	وجه جديد في الآية	ويحتمل خامساً: أنه عرف أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها.	سورة محمد آية: ٦

سورة محمد آية: ١٧	ويحتمل خامساً: والذين اهتدوا بالحق زادهم هدى للحق.	مثال جديد	لا	نعم	مثال جديد وقيم، وتحتمله الآية.
سورة محمد آية: ٢٠	ويحتمل ثالثاً: أنها التي تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ ولم يختلف فيها تأويل	معنى جديد	لا	نعم	معنى جديد، وقيم، ومعتبر، وتحتمله الآية.
سورة الفتح آية: ٢	ويحتمل رابعاً: ما تقدم قبل نزول هذه الآية وما تأخر بعدها	احتمال جديد	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الفتح آية: ٢٣	الثاني: لن تجد لعادة الله في نصر رسله مانعاً من الظفر بأعدائه وهو محتمل	احتمال جديد	لا	ذكروا المراد من قوله	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن الأولى هو القول الآخر لأن السنة الكونية تؤيده.
سورة الفتح آية: ٢٦	ويحتمل ثالثاً: هو الاقتداء بآبائهم، وألا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم.	مثال جديد	لا	لا	قول جديد وقيم وتحتمله الآية.

سورة الحجرات آية: ١٤	لا يعقلون أفعال العقلاء لتهورهم وقلة أناتهم، وهو محتمل.	وجه جديد	لا	ذكروا المراد من قوله	قول صحيح وهو المرجح في الآية.
سورة الحجرات آية: ١١	ويحتمل ثالثاً: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة.	مثال جديد	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الحجرات آية: ١٤	ويحتمل رابعاً: أن الشعوب هم المضافون إلى النواحي والشعاب، والقبائل هم المشتركون في الأنساب.	معنى جديد	لا	نعم	قول جديد وقيم وصحيح وتحتمله الآية.
سورة ق آية: ١	ويحتمل خامساً: أن يكون معناه قف؛ كما قال الشاعر: (قلت لها قفي فقالت قاف) أي وقفت.	رأي آخر	نعم	نعم	معنى القول صحيح، لكن معظم أهل العلم اجتمعوا على أن الأولى في الحرف المقطعة هو الوقف في معناها، وعدم

البحث في التفاصيل.					
قول صحيح وتحتمله الآية.	نعم	معنى مقارب لقوله	وجه جديد	ويحتمل ثالثاً: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده، الذي هو من نفسه، لأنه عرق يخالط القلب، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب	سورة ق آية ١٦
قول صحيح لأن الآية عامة في جميع الناس وإضافة الماوردي ضمن هذه القول.	نعم	نعم	وجه جديد على جزئين	ويحتمل ثالثاً: لقد كنت أيها الإنسان في غفلة عن أن كل نفس معها سائق وشهيد لأن هذا لا يعرف إلا بالنصوص الإلهية.	سورة ق: آية: ٢٢
قول صحيح وتحتمله الآية، وهو من لوازم القول الأول والثاني.	لا	لا	مثال جديد	ويحتمل رابعاً: أنه الوعد بالثواب والعقاب	سورة ق آية: ٢٨

سورة ق آية: ٢٩	الثاني: فيما وعد به من طاعة ومعصية، وهو محتمل.	وجه جديد	لا	لا	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة ق: ٢٩	الثاني: ما أزيد في عقاب مسيء ولا أنقص من ثواب محسن، وهو محتمل.	مثال جديد	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة ق آية: ٣٣	ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء.	وجه جديد.	لا	لا	قول جديد وقيم وتحتمله الآية.
سورة ق آية: ٣٦	ويحتمل خامساً: أنه اتخاذ الحصون والقلاع	معنى جديد	لا	نعم	قول جديد ومعتبر وتحتمله الآية.
سورة ق آية: ٤١	ويحتمل وجهاً آخر، أنه نداؤه في المحشر للعرض والحساب	وجه مختلف	لا	لا	بعيد عن التأويل لأن الآية في الأمر الغيبية ولا يوجد دليل صحيح على قول الماوردي.

الجدول ٣: خلاصة الدراسة في الفصل الثالث

اسم السورة و رقم الآية	إضافة الماوردي	نوع الإضافة	هل سبقه أحد؟	هل تبعه أحد؟	القيمة العلمية
سورة الذاريات آية: ١	ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات...	وصف جديد مختلف	لا	نعم	قول صحيح، لكن الأولى هو القول الآخر لأن القواعد التفسيرية تؤيده.
سورة الذاريات: آية: ٢	ويجري فيه احتمال قول ثالث: أنهن الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل، والوقر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، وبالفتح ثقل الأذن.	وصف مختلف	لا	نعم	قول صحيح، لكن الأولى هو القول الآخر لأن القواعد التفسيرية تؤيده.

سورة الذاريات: الآية: ٨	ويحتمل رابعاً: أنهم عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره. وهذا جواب القسم الثاني	مثال جديد مختلف.	نعم بلفظ مختلف	نعم	قول صحيح وقيم وتحتمله الآية.
سورة الذاريات: ١١	ويحتمل رابعاً: الذين هم في مأثم المعاصي ساهون عن أداء الفرائض.	مثال جديد بمعنى مقارب	لا	لا	قول صحيح وقيم وتحتمله الآية.
سورة الذاريات: ١٩	ويحتمل تاسعاً: أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه، حتى وجبت نفقته في مال غيره.	مثال جديد مختلف.	لا	نعم	قول صحيح وقيم وتحتمله الآية.
سورة الذاريات آية: ٢١	ويحتمل سادساً: أنه نجح العاجز وحرمان الحازم	مثال جديد مختلف	لا	نعم	مثال صحيح، وتحتمله الآية.
سورة الذاريات آية: ٢١	ويحتمل وجهاً ثالثاً: وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب.	معنى جديد	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.

سورة الذاريات: ٣٩	ويحتمل خامساً: بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به.	معنى جديد	لا	نعم	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة الذاريات: آية: ٥٥	ويحتمل ثالثاً: وذكر بالثواب والعقاب فإن الرغبة والرغبة تنفع المؤمنين	مثال جديد	نعم، ذكر مكي قبله	نعم لكن بلفظ مختلف يؤدي إلى نفس المعنى	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن الأولى هو القول الأول لأنه عام ويشمل بقية الأقوال.
سورة الطور: آية: ١٣	ويحتمل ثالثاً: أن يدعهم زبانيتها بالدعاء عليهم	معنى مختلف	لا	نعم لكن بلفظ مختلف .	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن الأولى هو القول الأول لأن القواعد التفسيرية تؤيده.

سورة النجم آية: ٣٢	ويحتمل رابعاً: لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً. ويحتمل خامساً: لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أزكياء.	لا	لا	أمثلة جديدة	أقوال صحيحة وقيمة وتحتملها الآية.
سورة النجم آية: ٣٥	ويحتمل ثالثاً: أعلم أن لا بعث، فهو يرى أن لا جزاء.	لا	نعم	معنى مختلف	قول صحيح وتحتمله الآية.
سورة النجم آية: ٤٣	ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالضحك والبكاء النعم والنقم	لا	لا	معنى مختلف	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن هناك قول آخر أولى منه لأنه الظاهر من الآية.
سورة النجم آية: ٤٤	ويحتمل سادساً: أن يريد به أنام وأيقظ.	نعم	لا	معنى جديد ومختلف	قول صحيح وتحتمله الآية، لكن

هناك قول آخر أولى منه لأنه الظاهر من الآية.					
قول صحيح وتحتمله الآية.	لا	لا	مثال جديد	ويحتمل تاسعاً: أغنى بما كسبه [الإنسان] في الحياة وأقنى بما خلفه بعد الوفاة مأخوذ من اقتناء المال وهو استبقاؤه	سورة النجم آية: ٤٨
قول صحيح وتحتمله الآية.	نعم	نعم باختلاف بسيط	قول جديد	ويحتمل قولاً ثالثاً: أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم	سورة النجم آية: ٥٦
قول صحيح وتحتمله الآية.	نعم	نعم باختلاف بسيط	معنى جديد	الثاني: من البعث والجزاء وهو محتمل.	سورة النجم آية: ٥٩
قول صحيح وتحتمله الآية.	لا	نعم	معنى مختلف.	الثاني: تفرحون ولا تحزنون، وهو محتمل	سورة النجم آية: ٦٠

